

حكم

الإسلام في الغناء

للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي

المعروف بابن قيم الجوزية

المتوفى سنة ٧٥١ هـ

أبو حذيفة

إبراهيم بن محمد

كتاب قد حوى درراً .: بعين الحسن ملحوظه

لهذا قلت تنبيهاً

حقوق الطبع محفوظة
لِلناشر

مكتبة الصحابة

طنطا - خلف المعهد الأزهرى

بجوار محطة القطار - شارع الجنبيه الغربى

الطبعة الاولى سنة

١٤٠٦ هـ

١٩٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد :-

نظراً للفترة التي يعيشها الآن المسلمون في أرجاء المعمورة وما هم عليه وموقف الأديان والشعوب من الإسلام والمسلمين . ونظراً لما وصلوا إليه فحالمهم لا يخفى على أحد . كل ذلك يرجع إلى سبب واحد هو مدى القرب من الله في تنفيذ أوامره واجتناب نواهيه فكلما اقترب الإنسان من الله يسر له كل ما هو صعب وبارك له وأعانه وأعزه ونصره «وليس خير لمثال على ذلك إلا الصدر الأول من الإسلام نصروا الله فنصرهم» .

وباستعراض لحال المسلمين الآن نجدهم :-

١ - قسمٌ منهم مُعترِ بدينه يحاول جاهداً فهم وتطبيق كل سنةٍ من السنن وكأنه يعيش بوجدانه وجسمانه في عصر رسول الله ﷺ وبين أصحابه رضوان الله عليهم .

ويحاولون جاهدين الاحتفاظ بالشخصية الإسلامية كما حددها الشرع ظاهراً وباطناً .

٢ - وقسمٌ يحاول أن يعيش ويسير الحياة فيعرف أن هناك أوامر لا بد أن تُنفذ وتواهى لا بد أن تُجتنب ولكنه بين بين لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء إلا أنهم يحاولون أن يعيشوا يومهم .

٣ - وقسم ثالث وهم أدعياء الإسلام تشهد شهادة ميلادهم أنهم من أبوين مسلمين . ولكنهم أبعد مايكونون عن الإسلام لأنهم نشأوا في وسط لا يدين بدين إلا اللهو فيحاولون جاهدين في إضاعة الوقت فعلى أيديهم مسخت الأمة شيئاً فشيئاً حتى إنهم نسبوا إمامتهم للبشر . وبعد أن كانوا أحراراً في عقائدهم وتفكيرهم وأخلاقهم وأدابهم وعبيداً فقط لله سبحانه أصبحوا أذناناً تابعين لأفكار الغرب مندفعين تجاه شهواتهم الجنسية والمعدية لا يعرفون إلا التبعية والتقليد المطلق الأعمى في كل شيء فاسد لا يبنى ولا يقوم تاركين لهم تقدمهم المادى الدنيوى متمسكين فقط بنزواتهم وشهواتهم وإذا انتعش إسلامهم تجدهم يرددون « إن الدين دين قلوب » « وإن الدين يسر » « والضرورات تبيح المحظورات » « ويسروا ولا تعسروا » « بلاش التزمت ده » « ربنا رحيم » « ده من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » « وأمة محمد بخير » إلى غير ذلك من الكلام الحق الذى يراد به الباطل .

هدانا الله وإياهم للحق بإذنه ووفقنا لما يحبه ويرضاه ومتعنا الله بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا إنه سميع قريب الدعاء .

★ ونأمل قريباً إن شاء الله أن نوفق في إخراج رسالة « اللهو المباح في ضوء العصر الحديث الموافق للشرع الخفيف » لتعلم فيه ما اللهو المباح وخاصة في الغناء بعد التعرض في هذه الرسالة لحكم الإسلام في الغناء الخليع وغناء الصوفية وحكم بيع المغنيات وأدوات الغناء .

عملنا في هذا الكتاب :- بالرجوع إلى الكتب الآتية :-

١ - إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان طبعة السنة المحمدية تحقيق الشيخ حامد الفقى .

٢ - إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان طبعة مصطفى الحلبي تحقيق الشيخ السقا .

٣ - حكم الإسلام في الغناء طبعة المكتبة القيمة مراجعة الأستاذ مجدى عيد .

٤ - تحريم النرد والشطرنج والملاهى للحافظ الآجرى تحقيق محمد سعيد إدريس طبعة الرياض ودار إحياء السنة النبوية الإسكندرية .

من خلال هذه المصادر قمنا بمراجعة الكتاب « وهو جزء من إغائة اللهفان للإمام ابن قيم الجوزية ، تعرض فيه لمكائد ومصائد الشيطان التي ينصبها للإنسان لكي يضيع عليه أجر الدنيا والآخرة فهو يزين له مثلاً الغناء على أنه قربة إلى الله كما يظن الصوفية وغير ذلك من الأمور التي يفعلها صاحبها على أنها قربة إلى الله ولكن في الحقيقة أن إبليس عليه لعنة الله قد زين له الفعل الحرام حتى تحيل إليه أنها من الطاعات وهكذا يتعرض الإمام ابن القيم للأحاديث الثابتة عن رسول الله في تحريم الغناء ثم أقوال الصحابة وعلماء الأمة وكيفية وقوع المسخ والخسف في هذه الأمة من جراء هذه المعصية وهي الاستماع إلى ذكر الشيطان والاستغناء به عن كلام الرحمن وهو القرآن الكريم .

* ولا يفوتنا أن نذكر أننا استفدنا كثيراً من المصادر الأربعة السابقة سواء في التخريج للأحاديث أو التبويب هداًنا الله ومحققها إلى الرشد والصواب .

المحقق أبو حذيفة

إبراهيم بن محمد

★ ★ ★

★ ★ ★ ★ ★ ★

بسم الله الرحمن الرحيم

من مكاييد عدو الله ومصايدہ ، التى كاد بها من قل نصيبه من العلم والعقل والدين ، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين : سماع المكاء (١) ، والتصدية (٢) ، والغناء بالآلات المحرمة ، الذى يصد القلوب عن القرآن ، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان . فهو قرآن الشيطان . والحجاب الكثيف عن الرحمن . وهو رقية اللواط والزنا . وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقه غاية المنى . كاد به الشيطان النفوس المبطله . وحسنه لها مكرها منه وغرورا . وأوحى إليها الشبه الباطلة على حسنه فقبلت وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجوراً . فلو رأيتم عند ذيك السماع وقد خشعت منهم الأصوات . وهدأت منهم الحركات . وعكفت قلوبهم بكليتها عليه . وانصبت انصبابة واحدة إليه . فتأيلوا له ولاكتمايل النشوان ، وتكسروا فى حركاتهم ورقصهم ، رأيتم تكسر الخانيث (٣) والنسوان ؟ ويحق لهم ذلك ، وقد خالط خماره النفوس ، ففعل فيها أعظم ما يفعله حُمياً الكوؤس . فلغير الله ، بل للشيطان ، قلوب هناك تمزق . وأثواب تشقق . وأموال فى غير طاعة الله تنفق . حتى إذا عمل السكر فيهم عمله . وبلغ الشيطان منهم أمنيته وأمله . واستفزههم بصوته وحيله . وأجلب عليهم برجله وخيله . وخز فى صدورهم وخزاً . وأزهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزا (٤) . فطوراً يجعلهم كالحمير حول المدار . وتارة كالديباب ترقص وُسيط الديار . فيا رحمتنا للسقوف والأرض من دك تلك الأقدام . وياسوأنا من أشباه الحمير والأنعام . وياشمتاة أعداء الإسلام .

(١) المكاء : الصفير بالقم أو تشبيك الاصابع والنفخ فيها .

(٢) التصدية : التصفيق .

(٣) الخانيث : جمع خنثى وهو الذى له ما للرجال والنساء جميعاً .

(٤) أزهم أزا : هيجهم وأغراهم : حركهم بشدة .

بالذين يزعمون أنهم خواص الإسلام^(٥) . قضوا حياتهم لذة وطرباً . وانخذلوا دينهم لهواً ولعباً . مزامير الشيطان أحب إليهم من استماع سور القرآن . لو سمع أحدهم القرآن من أوله إلى آخره لما حرك له ساكناً . ولا أزعج له قاطناً . ولا أثار فيه وجداً . ولا قدح فيه من لواجيج^(٦) الشوق إلى الله زُنداً^(٧) ، حتى إذا ثلث عليه قرآن الشيطان . وولج^(٨) زموره سمعه تفجرت ينابيع الوجد من قلبه على عينيه فجرت ، وعلى أقدامه فرقصت ، وعلى يديه فصفقت ، وعلى سائر أعضائه فاهتزت وطربت ، وعلى أنفاسه فتصاعدت ، وعلى زفرائه فتزايدت ، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت . فيا أيها الفاتن المفتون ، والبائع حظه من الله بنصيبه من الشيطان صفقة خاسر مغبون^(٩) ، هلا كانت هذه الأشجان ، عند سماع القرآن ؟ وهذه الأذواق والمواجيد ، عند قراءة القرآن المجيد ؟ وهذه الأحوال السنيئات ، عند تلاوة السور والآيات ؟ ولكن كل امرئ يصبّو إلى ما يناسبه ، ويميل إلى ما يشاكره ، والجنسية علة الضم^(١٠) قدراً وشرعاً ، والمشاكلة^(١١) سبب الميل عقلاً وطبعاً ، فمن أين هذا الإخاء والنسب ؟ لولا التعلق من الشيطان بأقوى سبب . ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرحمن خللاً ؟ (أفتتخذونه وذريته أولياء من ذوي وهم لكم عدو ينس للظالمين بدلاً)^(١٢) .

ولقد أحسن القائل :

ثُلِي الكتاب ، فأطرقوا ، لا خيفة لكنه إطراق ساهٍ لا هي
وأقَى الغناء ، فكالحمير تناهقوا والله مارقصوا لأجل الله

-
- (٥) وهم الذين يصفون أنفسهم بأهل الذكر : يتحلقون حلقة ، يقومون فيها يرقصون ويتمايلون على أنغام الغناء والآلات ويتصايحون ، ويتزنون ويتراقصون بما يسمونه ذكراً .
- (٦) لعج : كمنع أى حرك وجذب .
- (٧) الزند : العود الذي يقدح به النار وهو الأعلى .
- (٨) ولج : أى دخل .
- (٩) مغبون : مخدوع .
- (١٠) الضم : هو اجتماع الشيء إلى الشيء .
- (١١) المشاكلة : أى المشابهة والموافقة .
- (١٢) سورة الكهف : آية : ٥٠ .

دَقَّ وَمِزْمَارٌ ، وَنَعْمَةٌ شَادِنٍ
ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا
سَمِعُوا لَهُ رَعْدًا وَبَرْقًا ، إِذْ حَوَى
وَرَأَوْهُ أَكْظَمَ قَاطِعٍ لِلنَّفْسِ عَنْ
وَأَقَى السَّمَاعِ مُوَافَقًا أَغْرَاضَهَا
أَيْنَ الْمُسَاعَدِ لِلْهَوَى مِنْ قَاطِعٍ
إِنْ لَمْ يَكُنْ خَمَرُ الْجُسُومِ ، فَإِنَّهُ
فَانْظُرْ إِلَى النَّشْوَانِ عِنْدَ شَرَابِهِ
وَانْظُرْ إِلَى تَمْزِيقِ ذَا أَثْوَابِهِ
وَاحْكُمْ فَأَيُّ الْخَمْرَتَيْنِ أَحَقُّ

وقال آخر :

فَمَتَى رَأَيْتَ عِبَادَةَ بِمَلَاهِي ؟
تَقْيِيدَهُ بِأَوَامِرٍ وَنَوَاهِي
زَجْرًا وَتَخْوِيفًا بِفِعْلِ مَنَاهِي
شَهَوَاتِهَا ، يَازْبُحَهَا (١٣) الْمُنْتَاهِي
فَلَأَجَلَ ذَاكَ غَدَا عَظِيمِ الْجَاهِ
أَسْبَابِهِ ، عِنْدَ الْجَهُولِ السَّاهِي ؟
خَمَرُ الْعُقُولِ مِمَّا ثَلَّ وَمُضَاهِي
وَانْظُرْ إِلَى النَّسْوَانِ عِنْدَ مَلَاهِي
مِنْ بَعْدِ تَمْزِيقِ الْفُؤَادِ الْبَاهِي
بِالتَّحْرِيمِ ، وَالتَّائِيهِ عِنْدَ اللَّهِ ؟

بَرَّقْنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ مَعْشَرٍ
وَكَمْ قَلْتُ : يَا قُومُ ، أَنْتُمْ عَلَى
شَفَا جَرَفٍ تَحْتَهُ هُوَّةٌ
وَتَكَرَّرَ ذَا النَّصْحِ مِنْهَا لَهُمْ
فَلَمَّا اسْتَهَانُوا بِتَنْبِيهِنَا
فَعَشْنَا عَلَى سُنَّةِ الْمُصْطَفَى

بِهِمْ مَرَضٌ مِنْ سَمَاعِ الْغَنَاءِ
شَفَا جَرَفٍ (١٤) مَابِهِ مِنْ بِنَا
إِلَى دَرَكٍ ، كَمْ بِهِ مِنْ عَنَاءِ ؟
لِنُعْذِرَ فِيهِمْ إِلَى رَبِّنَا
رَجَعْنَا إِلَى اللَّهِ فِي أَمْرِنَا
وَمَاتُوا عَلَى تَتْنِنَا تَتْنِنَا

ولم يزل أنصار الإسلام وأئمة الهدى ، تصيح بهؤلاء من أقطار الأرض ، وتحذر
من سلوك سبيلهم ، واقتفاء آثارهم ، من جميع طوائف الملة .

[قال الإمام أبو بكر الطرطوشي في خطبة كتابه ، في تحريم السماع] :-

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ،
ونسأله أن يُرينا الحقَّ حقاً فنلتبه ، والباطل باطلاً فنجتنبه . وقد كان الناس فيما
مضى يستسِرُّ أحدهم بالمعصية إذا واقعها ، ثم يستغفر الله ويتوب إليه

(١٣) في نسخة «ياويحها» .

(١٤) على شفا جرفه : أى على حافة الهاوية .

منها ، ثم كثر الجهل ، وقل العلم ، وتناقص الأمر ، حتى صار أحدهم يأتي المعصية جهاراً ، ثم ازداد الأمر إدياراً ، حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المسلمين - وفقنا الله وإياهم - استزلهم الشيطان ، واستغوى عقولهم في حب الأغاني واللهو ، وسماع الطقطقة (١٥) والنقيير (١٦) ، واعتقدته من الدين الذي يقربهم إلى الله وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت سبيل المؤمنين ، وخالفت الفقهاء والعلماء وحملة الدين ، (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ) وساءت مصيراً (١٧) فرأيت أن أوضّح الحق ، وأكشف عن شبه أهل الباطل ، بالحجج التي تضمنها كتاب الله ، وسنة رسوله ، وأبدأ بذكر أقاويل العلماء الذين تدور الفتيا عليهم في أقاصي الأرض ودانيتها ، حتى تعلم هذه الطائفة أنها قد خالفت علماء المسلمين في بدعتها . والله ولي التوفيق .

[رأى الإمام مالك] * (١٨)

ثم قال : أما مالك فإنه نهى عن الغناء ، وعن استماعه ، وقال : « إذا اشترى جارية فوجدتها مُغنية كان له أن يردّها بالعيب » .
وسئل مالك رحمه الله : عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء ؟ فقال : « إنما يفعلونه عندنا الفساق » (١٩) .

[رأى الإمام أبي حنيفة] * (٢٠)

قال : وأما أبو حنيفة : فإنه يكره الغناء ، ويجعله من الذنوب .
وكذلك مذهب أهل الكوفة : سفيان ، وحمام ، وإبراهيم ، والشَّعْبِي ، وغيرهم ، لا اختلاف بينهم في ذلك ، ولا نعلم خلافاً أيضاً بين أهل البصرة في المنع منه .

(١٥) الطقطقة : الضرب بالقضيب على الخدة من الجلود ونحوها .

(١٦) النقيير : يشبه الصفير .

(١٧) النساء : آية : ١١٥ .

(١٨) العنوان مضاف من المحقق .

(١٩) وسأل ابن القاسم الإمام مالك عن الغناء فقال : قال الله تعالى : « فماذا بعد الحق إلا الضلال » انظر حكم الإسلام في الغناء للشيخ أبي بكر جابر الجزائري ص ٣٧ ط مكتبة القرآن .

(٢٠) العنوان مضاف من المحقق .

قلت: مذهب أبى حنيفة فى ذلك من أشد المذاهب ، وقوله فيه أغلظ الأقوال . وقد صرح أصحابه بتحريم سماع الملاهى كلها ، كالزمار ، والدف ، حتى الضرب بالقضيب ، وصرحوا بأنه معصية ، يوجب الفسق ، وترد به الشهادة ، وأبلغ من ذلك أنهم قالوا: إن السماع فسق ، والتلذذ به كفر . هذا لفظهم ، ورووا فى ذلك حديثاً لا يصح رفعه .

قالوا: ويجب عليه أن يجتهد فى أن لا يسمعه إذا مر به ، أو كان فى جواره . وقال أبو يوسف ، فى دار يسمع منها صوت المعازف والملاهى: « ادخل عليهم بغير إذنهم ، لأن النهى عن المنكر فرض ، فلو لم يجز الدخول بغير إذن لا تمتنع الناس من إقامة الفرض » .

قالوا: ويتقدم إليه الإمام إذا سمع ذلك من داره ، فإن أصر حبسه أو ضربه سيّطاً ، وإن شاء أزعه عن داره (٢١) .

[رأى الإمام الشافعى] * (٢٢)

وأما الشافعى: فقال فى كتاب أدب القضاء «إن الغناء هو مكروه ، يُشبهه الباطل والمحال . ومن استكثر منه فهو سفيه تُردّ شهادته» (٢٣) .

وصرح أصحابه العارفون بمذهبه بتحريمه . وأنكروا على من نسب إليه جلّه ، كالقاضى أبى الطيب الطبرى ، والشيخ أبى إسحق ، وابن الصّبّاغ .

قال الشيخ أبو إسحق فى التنبيه: ولا تصح - يعنى الإجارة (٢٤) - على منفعة محرمة ، كالغناء والزمر ، وحمل الخمر . ولم يذكر فيه خلافاً .

وقال فى المذهب: ولا يجوز على المنافع المحرمة ، لأنه محرّم ، فلا يجوز أخذ العوض عنه كالميتة والدم .

(٢١) أزعه عن داره: أى طرده منها .

(٢٢) العنوان مضاف من المحقق .

(٢٣) وسئل رحمه الله عن الرجل له جارية يجمع الناس للاستماع لها فقال : هذه ديانة وصاحب

هذه الجارية ديوث والرسول ﷺ يقول «لا يدخل الجنة ديوث» انظر حكم الاسلام فى

الغناء للجزائرى (مصدر سابق) .

(٢٤) الإجارة: الجزاء على العمل .

فقد تضمن كلام الشيخ أموراً :-
أحدها : أن منفعة الغناء بمجرد منفعة محرمة .
الثاني : أن الاستعجار عليها باطل .
الثالث : أن أكل المال به أكل مال بالباطل ، بمنزلة أكله عوضاً عن الميتة والدم .
الرابع : أنه لا يجوز للرجل بذل ماله للمغنى ، ويحرم عليه ذلك . فإنه بذل ماله في مقابلة محرم ، وأن بذله في ذلك كبذله في مقابلة الدم والميتة .
الخامس : أن الزمر حرام .
وإذا كان الزمر ، الذى هو أخف آلات اللهو ، حراماً . فكيف بما هو أشد منه ؟ كالعود ، والطنبور ، واليراع . ولا ينبغي لمن شم رائحة العلم أن يتوقف في تحريم ذلك . فأقل ما فيه : أنه من شعار الفساق وشاربى الخمر .
وكذلك قال أبو زكريا النووي في روضته :
القسم الثانى : أن يُغنى ببعض آلات الغناء ، بما هو من شعار شاربى الخمر ، وهو مطرب كالطنبور (٢٥) والعود والصنّج (٢٦) ، وسائر المعازف ، والأوتار . يحرم استعماله ، واستماعه . قال : وفي اليراع (٢٧) وجهان ، صحح البغوى التحريم .

(٢٥) الطنبور : بضم أوله : قال الهيثمى فى الزواج ١٧٨/٢ هو غير العود ، وقال اللغويون : هو العود ويقول نيبور كما فى دائرة المعارف ٢٦٩/١٥ إن الطنبور وهو اسم جنس لكل آلات الطرب التى تستخدم فيها أوتار السلك وذكر منها ثلاثة أنواع .
(٢٦) الصنّج : آلة بأوتار يضرب عليها . وذكر الزبيدى فى تاج العروس ٦٧/٢ إن الصنّج العربى هو الذى يكون فى الدفوف أما الصنّج ذو الأوتار فهو دخيل معرب يختص به المعجم ، وانظر دائرة المعارف الإسلامية ٣٣٧/١٤ - ٣٣٨ .
(٢٧) اليراع : وهو الشبابة وهى من جملة المزامير وأشدها طرباً . ومن أنواع ادواتهم فى الغناء :- المعزف : هو آلة الملاحى التى يضرب بها ويدخل تحته أنواع المعازف انظر تاج العروس ١٩٧/٦ .
الصفارة : آلة صغيرة جوفاء تتخذ غالباً من نحاس يستعملها الاطفال ورجال المرور - تاج العروس ٣٣٧/٣ .
الطبل : اسم جنس يطلق على عدة آلات متخذة من الجلد ، وقال الزبيدى فى تاج العروس ٤١٥/٧ مادة «طبل» يكون ذا وجه وذا وجهين وجمعه أطبال وطبول . انظر دائرة المعارف الإسلامية ٧٩/١٥ - ٨٧ .
العود : اسم آلة من المعازف ذى الأوتار المشهورة . انظر تاج العروس ٤٣٧/٢ .

ثم ذكر عن الغزالي الجواز . قال : والصحيح تحريم اليراع ، وهو الشبابة .

وقد صنف أبو القاسم الدُّولعي كتابا في تحريم اليراع .

وقد حكى أبو عمرو بن الصلاح الإجماع على تحريم السماع ، الذى جمع

الدف والشبابة . والغناء . فقال فى فتاويه :

وأما إباحة هذا السماع وتحليله ، فليعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت ، فاستماع ذلك حرام ، عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين . ولم يثبت عن أحد - ممن يعتد بقوله فى الإجماع والاختلاف - أنه أباح هذا السماع ، والخلاف المنقول عن بعض أصحاب الشافعى إنما نقل فى الشبابة منفردة ، والدف منفردا ، فمن لا يَحْصُل ، أولا يتأمل ، ربما اعتقد خلافا بين الشافعيين فى هذا السماع الجامع هذه الملاهى ، وذلك وهم يبين من الصائر إليه ، تنادى عليه أدلة الشرع والعقل ، مع أنه ليس كل خلاف يُستروح إليه ، ويعتمد عليه ، ومن تتبع ما اختلف فيه العلماء ، وأخذ بالرخص من أقاويلهم ، ترندق أو كاد . قال : وقولهم فى السماع المذكور : إنه من القربات والطاعات ، قول مخالف لإجماع المسلمين ، ومن خالف إجماعهم فعليه ما فى قوله تعالى : (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُؤَلِّهِ ما تولى ونُصَلِّهِ جهنم وساءت مصيرا) (٢٨) .

وأطال الكلام فى الردِّ على هاتين الطائفتين اللتين بلاء الإسلام منهم : المحللون لما حرم الله ، والمتقربون إلى الله بما يباعدهم عنه .

والشافعى وقدماء أصحابه ، والعارفون بمذهبه : من أغلظ الناس قولاً فى ذلك .

وقد تواتر عن الشافعى أنه قال : « خلّفت ببغداد شيئا أحدثته الزنادقة ، يسمونه التَّغْيِير (٢٩) ، يصلون به الناس عن القرآن » .

(٢٨) سورة النساء آية : ١١٥ .

(٢٩) التغير : كما قال المؤلف بعد ذلك ، الضرب بالقضيب على الخدة من الجلود حتى يطير الغبار منها .

فإذا كان هذا قوله في التغيير ، وتعليه : أنه يصد عن القرآن ، وهو شعر يُزهد في الدنيا ، يغني به مُغنٍ ، فيضرب بعض الحاضرين بقضيب على نِطْع (٣٠) أو مخدة على توقيع غنائه - فليت شعري ما يقول في سماع التغيير عنده كتفلة في بحر . قد اشتمل على كل مفسدة ، وجمع كل محرم ، فالله بين دينه وبين كل متعلم مفتون ، وعابد جاهل .

قال سفيان بن عيينة : « كان يقال : احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل ، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون » .
ومن تأمل الفساد الداخل على الأمة وجده من هذين المفتونين .

فصل [رأى الإمام أحمد] (٣١)

وأما مذهب الإمام أحمد ، فقال عبد الله ابنه « سألت أبا عن الغناء ؟ فقال : الغناء ينبت النفاق في القلب ، لا يعجبني » ثم ذكر قول مالك « إنما يفعله عندنا الفساق » .

قال عبد الله « وسمعت أبا يقول : سمعت يحيى القطان يقول : لو أن رجلاً عمل بكل رخصة ، بقول أهل الكوفة في النبيذ ، وأهل المدينة في السماع ، وأهل مكة في المتعة ، لكان فاسقاً » .

قال أحمد : وقال سليمان التيمي « لو أخذت برخصة كل عالم ، أو زلة كل عالم ، اجتمع فيك الشر كله » .

ونص على كسر آلات اللهو كالطنبور وغيره ، إذا رآها مكشوفة ، وأمكنه كسرها .

وعنه في كسرها إذا كانت مغطاة تحت ثيابه وعلم بها روايتان منصوصتان ونص في أيتام ورثوا جارية مغنية ، وأرادوا بيعها ، فقال : « لا تباع إلا على أنها

(٣٠) نطع : بساط من الأديم أى الجلد .

(٣١) العنوان من وضع المحقق .

ساذجة ، فقالوا: إذا بيعت مُغْنِيَّةٌ ساوت عشرين ألفاً أو نحوها ، وإذا بيعت ساذجة لا يساوى ألفين ، فقال : لا تباع إلا على أنها ساذجة» (٣٢) .
ولو كانت منفعة الغناء مباحة لما فوّت هذا المال على الأيتام .

فصل

وأما سماعه من المرأة الأجنبية ، أو الأمرد (٣٣) . فمن أعظم المحرمات أو أشدها فساداً للدين .

قال الشافعى رحمه الله : «وصاحب الجارية إذا جمع الناس لسماعها ، فهو سفيه تُردُّ شهادته» . وأغلظ القول فيه . وقال : «هو ديانة» (٣٤) ، فمن فعل ذلك كان ديوثاً .

قال القاضى أبو الطيب : وإنما جعل صاحبها سفيهاً ، لأنه دعا الناس إلى الباطل ، ومن دعا الناس إلى الباطل كان سفيهاً فاسقاً .

قال : وكان الشافعى يكره التغير ، وهو الطقطقة بالقضيب ، ويقول «وضعته الرنادقة ليشغلوا به عَنِ القرآن» .

قال : «وأما العود والطنبور وسائر الملاحى فحرام ، ومستمعه فاسق ، واتباع الجماعة أولى من اتباع رجلين مطعون عليهما» .

قلت : يريد بهما إبراهيم بن سعد ، وعبيد الله بن الحسن . فإنه قال : «وما خالف فى الغناء إلا رجلان : إبراهيم بن سعد ، فإن الساجى حكى عنه : أنه كان لا يرى به بأساً ، والثانى : عبيد الله بن الحسن العنبرى ، قاضى البصرة ، وهو مطعون فيه» ..

قال أبو بكر الطرطوشى : وهذه الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين ، لأنهم جعلوا الغناء ديناً وطاعة ، ورأت إعلانه فى المساجد والجوامع ، وسائر البقاع الشريفة ، والمشاهد الكريمة . وليس فى الأمة من رأى هذا الرأى .

(٣٢) انظر ترجمة الحسن بن عبد العزيز الجروى فى طبقات ابن أبى يعلى ص ٩٥ .

(٣٣) الأمرد : الشاب الذى نبت شاربه ولم تنبت له لحية .

(٣٤) الديوث : الذى يعلم القبيح فى أهله ويسكت وما أكثرهم .

قلت : ومن أعظم المنكرات : تمكينهم من إقامة هذا الشعار الملعون هو وأهله في المسجد الأقصى ، عشية عرفة . وقيمونه أيضاً في مسجد الخيف أيام منى . وقد أخرجناهم منه بالضرب والنفي مراراً ، ورأيتهم يقيمونه بالمسجد الحرام نفسه ، والناس في الطواف ، فاستدعيْتُ حزب الله وفرقنا شملهم . ورأيتهم يقيمونه بعرفات ، والناس في الدعاء ، والتضرع ، والابتهاال والضجيج إلى الله ، وهم في هذا السماع الملعون باليراع والدف والغناء .

فإقرار هذه الطائفة على ذلك فسق يقدر في عدالة من أقرهم ومنصبه الديني .

وأما أحسن ما قال بعض العلماء ^(٣٥) وقد شاهد هذا وأفعالهم :
 ألا قَلْ لهم قَوْلَ عَبْدٍ نَصُوحٍ وَحَقُّ النَصِيحَةِ أَنْ تُسْتَمَعَ :
 متى علم الناسُ في ديننا بأن الغناء سنة تتبع ؟
 وأن يأكل المرء أكل الجِمار ، ويرقص في الجمع حتى يقع ؟
 وقالوا : سَكَرْنَا بِحَبِّ الإِلهِ وما أسكَّرَ القَوْمَ إلا القِصْعُ ^(٣٦)
 كذاك البهائم إن أشيعت يُرْقِصُهَا رِيْثُهَا والشُّبْعُ
 ويُسكره الناي ، ثم الغناء ويس لو ثليت ما انصدع
 فيا للعقول ، ويا للنهى ألا مُنْكَرٌ منكم للبدع ؟
 تُهانُ مساجدنا بالسماع وتكرُمُ عَنْ مِثْلِ ذَاكَ الْبَيْعِ ؟ ^(٣٧)

وقال آخر ، وأحسن ما شاء :

ذهب الرجال وحال دون مجالهم زُمَرٌ ^(٣٨) مِنَ الْأَوْبَاشِ ^(٣٩) وَالْأَنْذَالِ ^(٤٠)

(٣٥) هو ظهير الدين : أبو اسحاق إبراهيم بن نصر الموصلي . وقد أورد ابن خلكان في تاريخه هذه القصيدة في ترجمته ، مع زيادة وكذلك أوردتها الحافظ ابن كثير في الجزء الثالث عشر من البداية والنهاية .

(٣٦) القصع : الشرب تجمراً .

(٣٧) البيع : متعبدات النصارى ، وليراجع كتاب العلامة القاسمي « إصلاح المساجد عن البدع والعوائد » وكتاب « الابداع في مضار الابتداع » للشيخ علي محفوظ وكتاب « السنن والمبتدعات » للشيخ الشقيري .

(٣٨) زمر : جماعة .

(٣٩) الأوباش : الفوغاء وهم السفلة من الناس .

(٤٠) الأنذال : النذل هو الخسيس من الناس .

زعموا بأنهم على آثارهم
لبسوا الدُّلوق مُرقَّعا ، وتَقَشَّفوا
قطَّعوا طريقَ السَّالِكين ، وغَوَّروا
عَمروا ظواهرَهُم بِأَثوابِ التَّقَى
إِنْ قُلْتُ : قَالَ اللهُ ، قَالَ رَسُولُهُ
أَوْ قُلْتُ : قَدْ قَالَ الصَّحَابَةُ ، وَالْأَوَّلَى
أَوْ قُلْتُ : قَالَ الْآلُ ، آلُ الْمُصْطَفَى
أَوْ قُلْتُ : قَالَ الشَّافِعِيُّ ، وَأَحْمَدُ
أَوْ قُلْتُ : قَالَ صِحَابُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ
وَيَقُولُ : قَلْبِي قَالَ لِي ، عَنْ سِرِّهِ ،
عَنْ حَضْرَتِي ، عَنْ فِكْرَتِي ، عَنْ خَلْقِي
عَنْ صَفْوِ وَقْتِي ، عَنْ حَقِيقَةِ مُشْهَدِي
دَعَوَى ، إِذَا حَقَّقْتُهَا ، أَلْفَيْتُهَا
تَرَكَوا الْحَقَائِقَ وَالشَّرَائِعَ ، وَاقْتَدَوْا
جَعَلُوا الْإِمْرَا (٤٥) شَحَا ، وَالْفَاظَ الْخَنَا (٤٦)
نَبَذُوا كِتَابَ اللهِ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ
جَعَلُوا السَّمَاعَ مَطِيَّةً لِهَوَاهُمْ

ساروا ، وَلَكِنْ سَيِّرَةُ الْبَطَالِ (٤١)
كَتَشَفَ الْأَقْطَابِ (٤٢) وَالْأَبْدَالِ (٤٣)
سُبُلَ الْهُدَى ، بِجَهَالَةٍ وَضَلَالِ
وَحَشَوُا بِوَاطِنِهِمْ مِنَ الْأَدْغَالِ (٤٤)
هَمَزُوكَ هَمَزَ الْمُنْكَرِ الْمُتَعَالَى
تَبِعُوهُمْ فِي الْقَوْلِ وَالْأَعْمَالِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ ، أَفْضَلَ آلِ
وَأَبُو حَنِيفَةَ ، وَالْإِمَامُ الْعَالِي
فَالْكَلَّ عِنْدَهُمْ كَشِيْهُ خِيَالِ
عَنْ سِرِّ سِرِّي ، عَنْ صِفَا أَحْوَالِ
عَنْ شَاهِدِي ، عَنْ وَارِدِي ، عَنْ حَالِي
عَنْ سِرِّ ذَاتِي ، عَنْ صِفَاتِ فِعَالِي
أَلْقَابَ زُورٍ ، لَفَقْتُ بِمَحَالِ
بِظَوَاهِرِ الْجَهَالِ وَالضُّلَالِ
شَطَحًا ، وَصَالُوا صَوْلَةَ الْإِدْلَالِ
تَبَذَ الْمَسَافِرِ فَضْلَةَ الْأَكَالِ (٤٧)
وَعَلَوْا ، فَقَالُوا فِيهِ كُلُّ مُحَالٍ :

(٤١) البطال : صاحب اللهو والبطالة .

(٤٢) الأقطاب : سيد القوم « وهو ما يُعتقد فيه يقول بذلك جهلة المتصوفة وكذلك الأبدال » .

(٤٣) الأبدال : قوم بهم يقيم الله الأرض وهم سبعون لايوت أحدهم إلا قام مقامه آخر من سائر الناس .

(٤٤) الأدغال : المفاصد والعيوب .

(٤٥) المرأ : المرأ وهو المناظرة والمجادلة .

(٤٦) الخنا : الفحش .

(٤٧) الأكال : مبالغة في الأكل ، وفي القرآن الكريم « سماعون للكذب أكالون للسحت » الآية

٤٢ سورة المائدة .

هو طاعة ، هو قرّبة ، هو سنة
شيخ قديم ، صادهم بتحصيل
هجرُوا له القرآن والأخبار والآثار ،
ورأوا سماعَ الشعرِ أنفعَ للفتى
تالله ما ظفر العدوُّ بمثلها
نصب الحبالَ لهم ، فلم يقعوا بها
فإذا بهم وسطَ العرين مُمزق
لا يسمعون سوى الذى يهوّونه
ودّعوا إلى ذات اليمين ، فأعرضوا
خرّوا على القرآن عند سماعه
وإذا تلا القارى عليهم سورة
ويقول قائلهم: أطلت ، وليس ذا
هذا ، وكم لغو ، وكم صحّح وكم
حتى إذا قام السماعُ لديهم
وامتدت الأعناق ، تسمعُ وحي
وتحركت تلك الرعوسُ ، وهزّها
فهنا لك الأشواق والأشجان
تالله لو كانوا صُحاةً أبصروا
لكنّما سُكّر السماعُ أشدَّ من
فإذا هُما اجتماعاً لنفسٍ مرّة
يا أُمَّة لَعِبَتْ بِيَدَيْنِ نبيّها
أشمتُّمو أهلَ الكتابِ بدينكم
كم ذا تُعَيِّرُ منهمُ بِفريقكم
قالوا لنا دينٌ عبادةٌ أهله
بل لا تحيُّ شريعةٌ يجوّزه

صدّقوا ، لذلك الشيخ ذى الإضلال
حتى أجابوا دعوة المحتال
إذ شهدت لهم بضلال
من أوجِه سبعٍ لهم بتوال
من مثلهم ، واخية الآمال
فأتى بذا الشُّرك المحيط الغالى
الأثواب ، والأديان ، والأحوال
شُعلاً به عن سائر الأشغال
عنها ، وسار القومُ ذاتَ شمال
صُمّاً وعُمياناً ذوى إهمال
فأطالها ، عدّوه فى الأثقال ،
عَشْر ، فخفف ، أنت ذو إملال
ضجّك بلا أدب ، ولا إجمال
خشعت له الأصوات بالإجلال
ذاك الشيخ مِن مترنمٍ قول
طرب ، وأشواقٍ لنيل وصال
والأحوال ، لا أهلاً بذى الأحوال
ماذا دهاهم مِن قبيح فعال
سُكّر المدام (٤٨) ، وذا بلا إشكال
نالَتْ مِن الخسرانِ كلَّ مثال
كتلاعِبِ الصبيانِ فى الأوحال
والله لن يَرْضَوْا بذى الأفعال
سراً وجهراً عِنْد كلِّ جدال ؟
هذا السماعُ ، فذاك دينٌ مُحال
فَسَلُّوا الشرائع تكتفوا بسؤال

لو قَلْتُمُو فِسْقٌ ، وَمَعْصِيَةٌ ، وَتَزْ
لِيَصُدُّ عَنْ وَحْيِ الْإِلَهِ وَدِينِهِ
كُنَّا شَهِدْنَا أَنَّ ذَا دِينَ أُنَى
وَاللَّهُ مِنْهُمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَا إِلَى الْآذَانِ
وَتَمَامِ ذَلِكَ الْقَوْلِ بِالْحَيْلِ التَّيْ
جَعَلْتَهُ كَالثَّوْبِ الْمَهْلِيلِ تَسْجُجُهُ
مَا شِئْتَ مِنْ مَكْرٍ ، وَمِنْ خِدَعٍ ،
فَاحْتَلَّ عَلَى إِسْقَاطِ كُلِّ فَرِيضَةٍ
وَاحْتَلَّ عَلَى الْمَظْلُومِ يُقْلَبُ ظَالِمًا
وَاقْلَبُ ، وَحَوْلُ ، فَالتَّحْيِيلُ كُلُّهُ
إِنْ كُنْتَ تَفْهَمُ ذَا ظَفِرْتَ بِكُلِّ
وَاحْتَمَلِ عَلَى شَرْبِ الْمَدَامِ وَسَمِّهَا
وَاحْتَلَّ عَلَى أَكْلِ الرِّبَا وَاهْجِرْ
وَاحْتَلَّ عَلَى الْوُطْءِ الْحَرَامِ ، وَلَا تَقْلُ
وَاحْتَلَّ عَلَى حَلِّ الْعُقُودِ وَفَسْخِهَا
إِلَّا عَلَى الْمُحْتَالِ ، فَهُوَ طَبِيبُهَا
وَاحْتَلَّ عَلَى نَقْضِ الْوُقُوفِ ، وَعَوْدِهَا
فَكَّرَ ، وَقَدَّرَ ، ثُمَّ فَصَّلَ بَعْدَ ذَا
وَاحْتَلَّ عَلَى الْمِيرَاثِ ، فَانْتَزَعَهُ
قَدْ أَثْبَتُوا نَسَبًا وَحَصْرًا فِيكُمْ
وَاعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الشَّهَادَةِ ، وَاجْعَلِ
فَالْحَصْرُ لِإِثْبَاتٍ ، وَتَقْيٌ ، غَيْرُ
وَاحْتَلَّ عَلَى مَالِ الْيَتِيمِ ، فَإِنَّهُ

يَنْ مِنَ الشَّيْطَانِ لِلْأَنْذَالِ
وَيُنَالُ فِيهِ جِيلَةٌ الْمُحْتَالِ
بِالْحَقِّ ، دِينَ الرِّسْلِ ، لَا بَضْلَالِ
مِنْ أَفْوَاهِهِمْ بِمَقَالِ
فَسَخَتْ عَقُودَ الدِّينِ فَسَخَّ فَصَالِ
فِيهِ تَفْصُّلُهُ مِنَ الْأَوْصَالِ
وَمِنْ حَيْلٍ ، وَتَلْبِيسٍ بِلَا إِقْلَالِ
وَعَلَى حَرَامِ اللَّهِ بِالْإِحْلَالِ
وَعَلَى الظُّلُومِ ، بِصُدِّ تِلْكَ الْحَالِ
فِي الْقَلْبِ ، وَالتَّحْوِيلِ ذُو إِعْمَالِ
مَاتَبَغَى مِنَ الْأَفْعَالِ وَالْأَقْوَالِ
غَيْرَ اسْمِهَا ، وَاللَّفْظَ ذُو إِجْمَالِ
شَنَاعَةَ لَفْظِهِ ، وَاحْتَلَّ عَلَى الْأَبْدَالِ
هَذَا زِنَا ، وَانْتَكَحَ رِجْئِي الْبَالِ (٤٩)
بَعْدَ الزَّوْمِ ، وَذَاكَ ذُو إِشْكَالِ
يَا مَحْنَةَ الْأَدْيَانِ بِالْمُحْتَالِ
طَلَّقَا (٥٠) ، وَلَا نُسْتَحْيِ مِنْ إِبْطَالِ
فَإِذَا غَلَبَتْ فَلِجَّ (٥١) فِي الْإِشْكَالِ
الْوَرَاثِ ، ثُمَّ ابْلَعَ جَمِيعَ الْمَالِ
حَتَّى تُحْوزَ الْإِرْثَ لِلْأَمْوَالِ
الْإِبْطَالِ هَمَّكَ ، تَحْظُ بِالْإِبْطَالِ
مَعْلُومٍ ، وَهَذَا مَوْضِعُ الْإِشْكَالِ
رِزْقُ هِنَى مِنْ ضَعِيفِ الْحَالِ

(٤٩) رَجْعِي الْبَالِ : آمَنَ مَطْمَئِنَ .

(٥٠) طَلَّقَا ، غَيْرَ وَقَفِ أَى سَائِبَةٍ .

(٥١) لَجَّ : اللَّجَاجَةُ : الْخُصُومَةُ .

لا سَوَاطَه تَحْشَى ، ولا مِنْ سَيْفِهِ
واحْتَلَّ على أَكْلِ الوقوف فإنها
فأبو حنيفة عِنْدَه هى باطلٌ في
فالمال مال ضائع ، أربابُه
وإذا تصحَّ بِحُكْم قاضٍ عادِلٍ
قد عطلَّ الناسُ الشُّروطَ ، وأهملوا
وتمام ذاك قضائُها ، وشهودنا
أما الشهودُ فَهُمْ عُدُولٌ عَنْ
زوراً وتُثْمِيقاً وَكِثْماناً ،
يُنْسَى شهادتُه ، ويخْلِفُ إِنَّه
فإذا رأى المُنْقُوشَ ، قال : ذكرْتُها
ويقولُ قائلهم : أخوضُ النارَ في
ثقل لي الميزانُ ، إني خائضٌ
أما القضاةُ فقد تواترَ عنهم
ماذا تقولُ لمن يقولُ : حَكَمْتُ
فإذا استعُثْتُ أُغِثْتُ بِالْجَلْدِ الذى
فيقول طَقْ ، فتقول : قَطْ ، فتعارضاً
فأجارك الرحمنُ مِنْ ضَرْبٍ ، وَمِنْ
هذا وَنِسْبَةُ ذاك أَجْمَعُهُ إلى
حاشا رسولَ اللهِ يَحْكُمُ بالهوى
والله لو عُرِضَتْ عليه كُلُّها
إلا التى منها يُوافقُ حُكْمَه
أحكامه عَدْلٌ ، وحقُّ كُلِّها

والقول قولك في نفاذِ المال
مثل السَّوائب (٥٢) رَبُّة الإهمال
الأصل ، لم تَحْتَجْجِ إلى إبطال
هلكوا . فَخُذْ مِنْه بِلَا مِكيال
فشروطها صارت إلى اضمحلال
مَقْصُودِها ، فالكلُّ في إهمال
فاسأل بهم ذا حِجْرة بالحال
طريق العذلِ في الأقوال والأفعال
وتليسياً (٥٣) ، وإسرافاً بأخذِ نوال
ناسٍ لها ، والقلبُ ذو إغفال
يا للمذكَر ، جئتُ بالآمال
نَزَرِ (٥٤) يسير ؟ ذاك عينُ خيال
لِلْمِثْكِينِ ، أَجْرٌ بِالْأغْلال
ماقد سَمِعْتُ ، فلا تُفْهَمْ بِمقال
أنتك فاسقٌ ، أو كافِرٌ في الحال ؟
قد طَرَّقَوه كمثل طَرَّقِ نعال
ويكون قولُ الجَلْدِ ذا إعمال
عَرَضٍ ، وَمِنْ كَذِبٍ وسوءِ مقال
دين الرسولِ ، وذا مِنْ الأهوال
والجهلِ ، تلك حُكُومَةُ الضُّلال
لَا جُتْها بالنقض والإبطال
فهو الذى يَلْقَاهُ بالإقبال
في رَحْمَةٍ ، ومصالِحٍ ، وحلال

(٥٢) السائبة : كل ناقة تترك ترعى لندى فترعى حيث شاءت .

(٥٣) التلييس : التخليط والتمويه .

(٥٤) نزر : أى شىء قليل .

شَهِدْتُ عَقُولَ الْخَلْقِ قَاطِبَةً بِمَا
فَإِذَا أَنْتَ أَحْكَامُـهُ أَلْفَيْتَهَا
حَتَّى يَقُولَ السَّامِعُونَ لِحُكْمِهِ:
لِلَّهِ أَحْكَامُ الرُّسُولِ وَعَدْلُهَا
كَانَتْ بِهَا فِي الْأَرْضِ أَعْظَمُ رَحْمَةٍ
أَحْكَامُهُمْ تَجْرَى عَلَى وَجْهِ السُّدَادِ،
أَمَّا ، وَعِزًّا فِي هُدًى وَتَرَاحُمٍ
فَتَغَيَّرَتْ أَوْضَاعُهَا ، حَتَّى غَدَتْ
فَتَغَيَّرَتْ أَعْمَالُهُمْ وَتَبَدَّلَتْ
لَوْ كَانَ دِينُ اللَّهِ فِيهِمْ قَائِمًا
وَإِذَا هُمْ حَاكِمُونَ بِحُكْمِ جَائِرٍ
قَالُوا: أَتَنْكَرُ حُكْمَ شَرْعِ مُحَمَّدٍ؟
عَجَّتْ (٥٨) فَرُوجُ النَّسَاسِ ،
كَمْ تُسْتَحَلُّ بِكُلِّ حُكْمٍ بَاطِلٍ
وَالْكُلِّ فِي قَعْرِ الْجَحِيمِ ، سِوَى الَّذِي
أَوْ مَا سَمِعْتَ أَنَّ ثَلَاثِيهِمْ غَدَا
وَزَمَانُنَا هَذَا ، فَرُبُّكَ عَالِمٌ

فِي حُكْمِهِ مِنْ صِيَحَّةٍ وَكَلَامٍ
وَفَقَى الْعُقُولِ ، تُزِيلُ كُلَّ عَقَالٍ (٥٥)
مَا بَعْدَ هَذَا الْحَقِّ غَيْرُ ضَلَالٍ
بَيْنَ الْعِبَادِ وَنُورُهَا الْمَتَلَالِ
وَالنَّاسُ فِي سَعِيدٍ وَفِي إِقْبَالٍ
وَحَالُهُمْ فِي ذَاكَ أَحْسَنُ حَالٍ
وَتَوَاصُلٍ ، وَحُبَّةٍ ، وَجَلَالٍ
مَنْكُورَةٌ (٥٦) ، بِتَلَوِّثِ الْأَعْمَالِ (٥٧)
أَحْوَالُهُمْ بِالنَّقْصِ بَعْدَ كَمَالٍ
لَرَأَيْتَهُمْ فِي أَحْسَنِ الْأَحْوَالِ
حَاشَا لَذَا الشَّرْعِ الشَّرِيفِ الْعَالِي
ثُمَّ حَقَّقَهُمُ اللَّهُ بِالْبُكَرَاتِ وَالْأَصَالِ
لَا يُرْتَضِيهِ رَبُّهَا الْمُتَعَالَى
يَقْضَى بِدِينِ اللَّهِ ، لَا لِتَسْوَالِ
فِي النَّارِ ، فِي ذَاكَ الزَّمَانِ الْخَالِي؟
هَلْ فِيهِ ذَاكَ الثَّلَاثُ ، أَمْ هُوَ خَالِي؟

[طريق النجاة] *

يَا بَاغِيَّ الْإِحْسَانِ يَطْلُبُ رَبُّهُ
انْظُرْ إِلَى هَذِي الصَّحَابَةِ ، وَالَّذِي
وَاسَلْتُكَ طَرِيقَ الْقَوْمِ أَيْنَ تَيَمَّمُوا
تَاللَّهِ مَا اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ سِوَى
دَرَجُوا عَلَى تَهْيِجِ الرُّسُولِ وَهَدْيِهِ
نِعْمَ الرَفِيقُ لِطَالِبِ يَنْغِي الْهَدَى

لِيَفُوزَ مِنْهُ بِغَايَةِ الْأَمَالِ
كَانُوا عَلَيْهِ فِي الزَّمَانِ الْخَالِي
تُحَذِّمْنَ مَا السَّدْرُ ذَاتَ شِمَالٍ
سُبُلِ الْهَدَى فِي الْقَوْلِ وَالْأَفْعَالِ
وَبِهِ اقْتَدُوا فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ
فَمَالَهُ فِي الْحَشْرِ خَيْرٌ مَالٍ

(٥٥) العقال: القيد الذي يقيد به .

(٥٦) منكورة: مجهولة .

(٥٧) في نسخة « مسلوقة الأعمال » .

(٥٨) عجت: صاحت ورفعت الصوت .

* - العنوان مضاف من المحقق .

القانتين المختين لرّبهم
 التاركين لكل فعل سيء
 أهواؤهم تبع لدين نبّهم
 ماشابهم في دينهم نقص ، ولا
 عملوا بما علموا ، ولم يتكلفوا
 وسواهم بالضد في الأمرين ، قد (٥٩)
 فهم الأدلة للحيارى ، من يسر
 وهم النجوم هداية وإضاءة
 يمشون بين الناس هوناً ، نطقهم
 حلماً ، وعلماً ، مع ثقي ، وتواضع
 يحيون ليهم بطاعة ربهم
 وعيونهم تجرى بفيض دموعهم
 في الليل رهبان ، وعند جهادهم
 وإذا بدا علم الرهان رأيتهم
 بوجوههم أثر السجود لرّبهم
 ولقد أبان لك الكتاب صفاتهم
 وبرابع السبع الطوال صفاتهم
 وبراءة ، والحشر فيها وصفهم

النّاطقين بأصدق الأقوال
 والعاملين بأحسن الأعمال
 وسواهم بالضد في ذى الحان
 في قولهم شطّح الجهول الغالى
 فلذلك ماشابوا الهدى بضلال
 تركوا الهدى ، ودعوا إلى الإضلال
 يهداهم لم يخش من إضلال
 وعلو منزلة ، وتعدّ منال
 بالحق ، لاجتهالة الجهال
 ونصيحة ، مع رتبة الإفضال
 بتلاوة ، وتضريح ، وسؤال
 مثل انهمال الوابل الهطال
 لعدوهم من أشجع الأبطال
 يتسابقون بصالح الأعمال
 وبها أشعة نوره المتلال
 في سورة الفتح المبين العالى
 قوم يحبهم ذوو إدلال
 وبهل أتى ، ر (الأنفال ٦٠)

فصل

هذا السماع الشيطاني المضاد للسماع الرحاني . له في الشرع بضعة عشر
 اسماً :

اللهو ، واللغو ، والباطل ، والزور ، والمكاء ، والتصدية ، ورقية الزنا ،
 وقرآن الشيطان ، ومُنبت النفاق في القلب ، والصوت الأحق ، والصوت

(٥٩) في نسخة « وسواهم بالضد في أحوالهم » .

(٦٠) للإمام ابن القيم كتاب قيم ، وهو القصيدة النونية قام بشرحها د . محمد خليل هراس طبعة
 مكتبة ابن تيمية بالطالبية تعرض فيها لكافة الفرق وبيان ما هم عليه من مخالفة .

الفاجر ، وصوت الشيطان ، ومزْمُور الشيطان ، والسُّمُود :

أسماءه دلت على أوصافه . . . تَبَا (٦١) لِيَذَى الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ

فذكر مخازي هذه الأسماء ، ووقعها عليه في كلام الله وكلام رسوله ،
والصحابة ، ليعلم أصحابه وأهلُه بما به ظفروا ، وأى تجارة رابحة خسروا :
فَدَعُ صَاحِبَ الْمَرْمَرِ ، وَالدَّفِ ، وَالْغِنَا وَمَا اخْتَارَهُ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ مَذْهَبًا
وَدَعَاهُ يَعْشُ فِي غِيَّهِ وَضَلَالِهِ عَلَى تَاتِبًا يَحْيَا وَيُتَعَثُّ أَشْيِبًا
وَفِي تَنْتِنَا يَوْمَ الْمَعَادِ نَجَاشُهُ إِلَى الْجَنَّةِ الْحَمْرَاءِ ، يُدْعَى مُقْرَبًا
سَيَعْلَمُ يَوْمَ الْعَرْضِ أَى بَضَاعَةٍ أَضَاعَ ، وَعِنْدَ الْوَزْنِ مَا خَفَّ أَوْ رُبَا
وَيَعْلَمُ مَا قَدْ كَانَ فِيهِ حَيَاتُهُ إِذَا حَصَلَتْ أَعْمَالُهُ كُلُّهَا هَبَا
دَعَاهُ الْهُدَى وَالْغَى مَنْ ذَا يَجْبِيهِ ؟ فَقَالَ لِذَاعَى الْغَى : أَهْلًا وَمَرْحَبًا
وَأَعْرَضَ عَنْ ذَاعَى الْهُدَى ، قَائِلًا لَهُ هَوَى إِلَى صَوْتِ الْمَعَارِفِ قَدْ صَبَا (٦٢)
يِرَاعُ ، وَدَقَّ بِالصُّنُوجِ ، وَشَاهَدُ وَصَوْتُ مُغْنٍ ، صَوْتُهُ يَقْنِصُ الظُّبَا
إِذَا مَا تَغَنَّى فَالظُّبَاءُ تَجِيُّهُ إِلَى أَنْ تَرَاهَا حَوْلَهُ تَشْبَهُ الدُّبَا
فَمَا شَيْتَ مِنْ صَيِّدٍ بَغِيرِ تَطَارُدٍ وَوَصَلَ حَبِيبٍ كَانَ بِالْهَجْرِ عَذْبَا
فِيَا أَمْرِي بِالرُّشْدِ ، لَوْ كُنْتُ حَاضِرًا لَكُنْ تَوَالِي اللَّهْوِ عِنْدَكَ أَقْرَبَا

فصل

فالاسم الأول : اللهو ، وهو الحديث .

قال تعالى : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ (٦٣) الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ رِيثْخَذَهَا هُزُوًّا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ وَإِذَا تَلَى عَلَيْهِ آيَاتِنَا وَلَّى
مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) .

(٦١) تَبَا : النقص والخساء «تبت يدا أبي لهب وتب» سورة المسد آية رقم : ١ .

(٦٢) صبا : حن واشتاق .

(٦٣) سورة لقمان : ٦ : ٧ ورجع معظم المفسرين في تفاسيرهم إلى أن المقصود بلهو الحديث هو

الفناء ، فمنهم البغوى ، والواحدى والقرطبي والإمام الطبري وعزاه إلى جابر ومجاهد وسعيد بن

جبير .

قال الواحدى وغيره: أكثر المفسرين: على أن المراد بلهو الحديث: الغناء،
قاله ابن عباس فى رواية سعيد بن جبير ومقسّم عنه، وقاله عبد الله بن
مسعود (٦٤)، فى رواية أبى الصهباء، وهو قول مجاهد وعكرمة.

وروى ثور بن أبى فاختة عن أبيه عن ابن عباس فى قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ
مَنْ يَشْتَرِ لَهْوَ الْحَدِيثِ) قال: «هو الرجل يشتري الجارية تُغْنِيه ليلاً ونهاراً».
وقال ابن أبى نُجَيْج عن مجاهد «هو اشتراء المغنّى والمغنّية بالمال الكثير،
والاستماع إليه، وإلى مثله مِنَ الْبَاطِل» وهذا قول مكحول.
وهذا اختيار أبى إسحاق أيضاً.

وقال: أكثر ما جاء فى التفسير: أن لهو الحديث ههنا هو الغناء. لأنه يُلهى
عن ذكر الله تعالى (٦٥).

قال الواحدى: قال أهل المعانى: ويدخل فى هذا كل من اختار اللهو،
والغناء، والمزامير، والمعازف على القرآن، وإن كان اللفظ قد ورد بالشراء،
فلفظ الشراء يُذكر فى الاستبدال، والاختيار. وهو كثير فى القرآن. قال:
ويدل على هذا: ما قاله قتادة فى هذه الآية «لعله أن لا يكون أنفق مالا»، قال:
«وبحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق».

قال الواحدى: وهذه الآية على هذا التفسير تدل على تحريم الغناء، ثم ذكر
كلام الشافعى فى رد الشهادة بإعلان الغناء.

(٦٤) قال الحافظ ابن حجر: رواه ابن أبى شيبة بإسناد صحيح.

(٦٥) وقد روى ابن جرير فى تفسير الآية أقوالاً كثيرة عن الصحابة والتابعين وروى حديث أبى
أمامة من وجوه عدة. ثم قال: والصواب فى القول فى ذلك أن يقال: عنى به كل ما كان
من الحديث ملهياً عن سبيل الله مما نهى الله عن استماعه أو رسوله. لأن الله تعالى عنى بقوله
(لهو الحديث) ولم يخص بعضاً دون بعض فذلك على عمومته حتى يأتى ما يدل على
خصوصه والغناء والشرك من ذلك.

قال : وأما غناء القَيْنَات (٦٦) : فذلك أشد ما في الباب ، وذلك لكثرة الوعيد الوارد فيه ، وهو ، ماروى أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « من استمع إلى قَيْنَةٍ صُبَّ في أذنيه الأَثَلُ يوم القيامة (٦٧) » الأَثَلُ : الرِّصَاص المذاب .

وقد جاء تفسير هُو الحديث بالغناء مرفوعاً إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

ففى مسند الإمام أحمد ، ومسند عبد الله بن الزبير الحميدى ، وجامع الترمذى من حديث أبى أمامة . والسياق للترمذى : أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « لا تبيعوا القَيْنَات ، ولا تشتروهن ، ولا تعلموهن ، ولا خير في تجارة فيهن ، وثنهن حرام . في مثل هذا نزلت هذه الآية (ومن الناس من يشتري هُو الحديث ليضل عن سبيل الله) (٦٨) وهذا الحديث وإن كان مداره على عبيد الله بن زحرٍ عن على بن يزيد الإلهائى عن القاسم ، فعبيد الله زَحْر ثقة ، والقاسم ثقة ، وعلى ضعيف ، إلا أن للحديث شواهد ومتابعات ، سنذكرها إن شاء الله تعالى ، ويكفى تفسير الصحابة والتابعين للهو الحديث : بأنه الغناء ، فقد صح ذلك عن ابن عباس ، وابن مسعود . قال أبو الصهباء « سألت ابن مسعود عن قوله تعالى (ومن الناس من يشتري هُو الحديث) فقال : والله الذى لا إله غيره ، هو الغناء - يرددها ثلاث مرات » .

(٦٦) القينات : الإماء والمغنيات . أما الآن فهم أصحاب الصدارة في المجتمع والمكان الرفيع ، ومن آفة هذا اللهو أنه تاريخياً وواقعياً مرتبط بالترف وبجالس الشرب وغداً جزءاً أساسياً من حياة اللاهين الذين اتصفوا على مدار التاريخ بالميوعة والسخاعة والبعد عن أحكام الدين وأخلاق المتقين « الحلال والحرام القرضاوى » .

(٦٧) قال السيوطى في الجامع الصغير : رواه ابن عساكر عن أنس . وهو ضعيف ورواه الإمام ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك رضى الله عنه .

(٦٨) رواه أحمد في مسنده ٢٠٧/٥ / ٢٦٨ والحميدى في مسنده ٤٠٥/٢ مختصراً وابن ماجه ٧٣٢/٢ . والحديث حسن لغيره لكثرة الشواهد والمتابعات « انظر تخرىج تحريم الرد والشطرنج للأجرى ص ٣٥٣ » .

وصح عن ابن عمر رضى الله عنهما أيضاً «أنه الغناء» ..
قال الحاكم أبو عبد الله في التفسير ، من كتاب المستدرک «ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين : حديث مسند» (٦٩) .

وقال في موضع آخر من كتابه : «هو عندنا في حكم المرفوع» .
وهذا ، وإن كان فيه نظر ، فلا ريب أنه أولى بالقبول من تفسير من بعدهم . فهم أعلم الأمة بمراد الله عز وجل من كتابه . فعليهم نزل ، وهم أول من نُحِطَ به من الأمة . وقد شاهدوا تفسيره من الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم علماً وعملاً ، وهم العرب الفصحاء على الحقيقة . فلا يعدل عن تفسيرهم ما وُجد إليه سبيل (٧٠) .

ولا تعارض بين تفسير «هو الحديث» بالغناء ، وتفسيره : بأخبار الأعاجم وملوكها ، وملوك الروم . ونحو ذلك مما كان النضر بن الحارث يُحدث به أهل مكة ، يشغلهم به عن القرآن . فكلاهما هو الحديث ، ولهذا قال ابن عباس «هو الحديث : الباطل والغناء» .

فمن الصحابة من ذكر هذا ، ومنهم من ذكر الآخر ، ومنهم من جمعهما والغناء أشد لهواً ، وأعظم ضرراً من أحاديث الملوك وأخبارهم ، فإنه رقية الزنا ، ومُنبت النفاق ، وشرك الشيطان ، وخمرة العقل ، وصدّه عن القرآن أعظم من صدّ غيره من الكلام الباطل ، لشدة ميل النفوس إليه ، ورغبتها فيه . إذا عُرِفَ هذا . فأهل الغناء ، ومُستمعوه لهم نصيبٌ من هذا الذم ، بحسب اشتغالهم بالغناء عن القرآن . وإن لم ينالوا جميعه . فإن الآيات تضمنت ذم من استبدل هو الحديث بالقرآن ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها

(٦٩) والحديث المسند هو ما اتصل بإسناده من راويه إلى منتهاه مرفوعاً إلى النبي ﷺ ص ٢١٧ علوم الحديث د . صبيحى الصالح .

(٧٠) يراجع كتاب مقدمه في اصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية وكذا مقدمة تفسير الامام ابن كثير فإنه اختصر مقدمة ابن تيمية في مقدمة التفسير فجزاه الله خيراً .

هُزُوا . وإذا يُتلى عليه القرآن وَلَّى مستكبراً كأن لم يسمعه ، كأن في أذنيه وقراً . وهو الثَّقل والصمم . وإذا علم منه شيئاً استهزأ به ، فمجموع هذا لا يقع إلا من أعظم الناس كفراً ، وإن وقع بعضه للمغنين ومستمعهم ، فلهم حصّة ونصيب من هذا الدم .

يوضحه : أنك لا تجد أحداً غُنِيَ بالغناء وسماع آلاته ، إلا وفيه ضلال عن طريق الهدى ، علماً وعملاً ، وفيه رغبة عن استماع القرآن إلى استماع الغناء ، بحيث إذا عَرَضَ له سماعُ الغناء وسماعُ القرآن عدل عن هذا إلى ذاك ، وثقل عليه سماع القرآن ، وربما حمّله الحال على أن يُسَكِّت القارئ ويستطيل قراءته ، ويستزيد المغنى ويستقصر نوبته ، وأقل ما في هذا : أن يناله نصيب وافر من هذا الدم ، إن لم يحظَ به جميعه .

والكلام في هذا مع من في قلبه بعض حياة يُحس بها . فأما من مات قلبه ^(٧١) وعظمت فتنته ، فقد سد على نفسه طريق النصيحة : « وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً . أولئك الذين لم يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لهم في الدنيا خِزْيٌ ولهم في الآخرة عذابٌ عظيم » ^(٧٢) .

فصل

الاسم الثاني والثالث : الزور ، واللغو .

قال تعالى : (والذين لا يشهدون الزورَ وإذا سُروا باللغو مروا كراماً) ^(٧٣) .

قال محمد بن الحنفية « الزور ههنا الغناء » وقاله ليث عن مجاهد . وقال الكلبي : لا يحضرون مجالس الباطل .

واللغو في اللغة : كل ما يُلغَى ويُطَرَح ، والمعنى : لا يحضرون مجالس الباطل . وإذا مروا بكل ما يُلغَى من قول وعمل . أكرموا أنفسهم أن يقفوا عليه ،

(٧١) للإمام ابن القيم كتاب «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» الذي هو أصل الكتاب الذي بين أيدينا تعرض فيه لأمراض القلوب وطرق شفاؤها فليراجع .

(٧٢) سورة المائدة : ٤١ .

(٧٣) سورة الفرقان : ٧٢ .

أو يميلوا إليه . ويدخل في هذا : أعياد المشركين ، كما فسرهما به السلف ،
والغناء ، وأنواع الباطل كلها .

قال الزجاج : « لا يجالسون أهل المعاصي ، ولا يخالئونهم » (٧٤) عليها ،
ومروا مرَّ الكرام الذين لا يرضون باللغو ، لأنهم يُكرمون أنفسهم عن الدخول
فيه ، والاختلاط بأهله .

وقد روى أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : مر بلهو . فأعرض عنه .
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « إن أصبح ابن مسعود
لكريماً » (٧٥) .

وقد أثنى الله سبحانه على من أعرض عن اللغو إذا سمعه بقوله « وإذا سمعوا
اللهوا أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم » (٧٦) .

وهذه الآية ، وإن كان سبب نزولها خاصاً ، فمعناها عام (٧٧) ، متناول
لكل من سمع لغواً فأعرض عنه ، وقال بلسانه أو بقلبه لأصحابه « لنا أعمالنا
ولكم أعمالكم » .

(٧٤) يخالئونهم : أى يساعدونهم ويعينونهم .

(٧٥) بهامش الأصل : قوله « ان أصبح يعنى » « قد » لأن « إن » المكسورة المسكنة من فوائدها أن
تأتى بمعنى « قد » قاله ابن هشام فى معنى اللبيب أ هـ . والحديث ذكره ابن كثير فى
تفسيره ، من طريق ابن أبى حاتم . وفيه « لقد أصبح ابن مسعود وأمسى كريماً » .

(٧٦) ذكر ابن كثير عن ابن اسحق أنها نزلت فى عشرين من نصارى الحبشة وفدوا إلى مكة
فسمعوا القرآن من رسول الله ﷺ ففاضت أعينهم وأسلموا . فوبخهم أبو جهل فى نفر من
قريش . فقالوا : سلام عليكم لانجاهلكم لنا مانعن عليه ولكم ما أنتم عليه . لم نأل أنفسنا
خيئراً .

(٧٧) روى مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن حميد بن عبد الرحمن بن
عوف أنه « سمع معاوية عام حج على المنبر - وتناول قصّة من شعر كانت فى يد حرسى -
فقال : يا أهل المدينة أين علماءكم ؟ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا ويقول : إنما
هلكت بنو إسرائيل حين اتخذوها نساؤهم » وفى رواية للبخارى ومسلم عن ابن المسيب قال
« قدم معاوية المدينة فخطبنا » وأخرج كبة من شعر فقال : ما كنت أرى أن أحداً يفعله إلا
اليهود . إن رسول الله ﷺ ، بلغه ، فسماه الزور » وفى أخرى للبخارى : أن معاوية قال
ذات يوم « إنكم أحدثتم زى سوء ، وإن نبي الله ﷺ نهى عن الزور » .

وتأمل كيف قال سبحانه (لا يشهدون الزور) ولم يقل: بالزور . لأن «يشهدون» بمعنى: يحضرون . فمدحهم على ترك حضور مجالس الزور ، فكيف بالتكلم به ، وفعله ؟ . والغناء من أعظم الزور .

والزور: يقال على الكلام الباطل ، وعلى العمل الباطل ، وعلى العين نفسها . كما في حديث معاوية لما أخذ قصّة من شعر يُوصَل به ، فقال «هذا الزور»^(٧٨) فالزور: القول ، والفعل ، والمحَل .

وأصل اللفظة من الميل . ومنه الزور ، بالفتح . ومنه: زُرت فلاناً ، إذا ملّثت إليه ، وعدلت إليه . فالزور: ميل عن الحق الثابت إلى الباطل الذى لاحقيقة له قولاً وفعلًا .

فصل

الاسم الرابع: الباطل .

والباطل: ضد الحق ، يراد به المعدوم الذى لا وجود له ، والموجود الذى مضى وجوده أكثر من منفعته .

فمن الأول: قول الموحّد: كل إله سوى الله باطل ، ومن الثانى قوله: السحر باطل . والكفر باطل ، قال تعالى: (وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقاً)^(٧٩) .

فالباطل إما معدوم لا وجود له ، وإما موجود لا نفع له . فالكفر ، والفسوق ، والعصيان ، والسحر ، والغناء ، واستماع الملاحى: كله من النوع الثانى .

قال ابن وهب: أخبرني سليمان بن بلال عن كثير بن زيد: أنه سمع عبيد الله يقول للمقاسم بن محمد: «كيف ترى في الغناء؟ فقال له المقاسم: هو باطل .

(٧٨) وفي رواية أخرى قال: أنهارك عنه وأكرهه لك قال: أحرام هو؟ قال: انظر يا ابن أخي إذا

ميز الله الحق من الباطل في أيهما يجعل الغناء . رواه البيهقي في السنن ١٠ / ٢٢٤ وابن الجوزي في

تلبس إبليس ص ٢٣٥ .

(٧٩) سورة الاسراء: ٨١ .

فقال : قد عرفت أنه باطل ، فكيف ترى فيه ؟ فقال القاسم : أرأيت الباطل ، أين هو ؟ قال : في النار ، قال : فهو ذاك (٨٠) .

وقال رجل لابن عباس رضى الله عنهما « ماتقول في الغناء ، أحلال هو ، أم حرام ؟ فقال : لا أقول حراماً إلا ما في كتاب الله . فقال : أفحلال هو ؟ فقال : ولا أقول ذلك . ثم قال له : أرأيت الحق والباطل ، إذا جاء يوم القيامة ، فأين يكون الغناء ؟ فقال الرجل : يكون مع الباطل ، فقال له ابن عباس : اذهب فقد أفنت نفسك » .

فهذا جواب ابن عباس رضى الله عنهما عن غناء الأعراب ، الذى ليس فيه مدح الخمر والزنا واللواط ، والتشبيب (٨١) بالأجنبيات ، وأصوات المعازف ، والآلات المطرباث . فإن غناء القوم لم يكن فيه شيء من ذلك ، ولو شاهدوا هذا الغناء لقالوا فيه أعظم قول . فإن مضرت وفتنته فوق مضرة شرب الخمر بكثير ، وأعظم من فتنته .

فمن أبطل الباطل أن تأتى شريعة بإباحته ، فمن قاس هذا على غناء القوم فقياسه من جنس قياس الربا على البيع ، والميتة على المذكاة (٨٢) ، والتحليل الملعون فاعله على النكاح الذى هو سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم . وهو أفضل من التخلي لنوافل العبادة ، فلو كان نكاح التحليل جائزاً في الشرع لكان أفضل من قيام الليل ، وصيام التطوع ، فضلاً أن يُلعن فاعله .

(٨٠) كتاب الادب المفرد للامام البخارى ص ٤٣٢ «باب الغناء» .

(٨١) التشبيب : إظهار المفاتن ووصف الجمال .

(٨٢) قوله تعالى : «إلا ما ذكيتم» قال القرطبي . الذكاة في اللغة : أصلها التمام . والذكاة في الشرع عبارة عن إنهار الدم وفري الأوداج في المذبوح . والنحر في المنحور ، والعقر في غير المقدور عليه ، مقروناً بنية القصد لله ، وذكره عليه . ولزيادة التفصيل والمعرفة يتم الرجوع إلى كتاب «حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب وغيرهم» لسماحة عبد الله بن حميد رئيس مجلس القضاء طبعة دار احياء السنة اسكندرية وقد صدرت فتوى شرعية من فضيلة المفتي : عبد اللطيف حمزه بجريدة الاهرام يوم الجمعة ٢٣ / اغسطس ١٩٨٥ العدد ٣٦٠٥ : «بعدم استخدام الجهاز الذى يشبه «المسدس» في تخدير الزبح قبل ذبحها مخالفة تلك الطريقة للشرعية الإسلامية لأنها تعذب الحيوان وتزهق روحه قبل الزبح مما يتنافى مع روح الشريعة وطالب فضيلته بالغاء هذه الطريقة من المجازر الآلية» وهذا هو النص .

فصل

وأما اسم المكاء والتصديّة .

فقال تعالى عن الكفار (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّة) (٨٣) .

قال ابن عباس ، وابن عمر ، وعطية ، ومجاهد ، والضحاك ، والحسن ، وقتادة « المكاء : الصفير ، والتصديّة : التصفيق » .

وكذلك قال أهل اللغة : المكاء : الصفير . يقال : مُكا ، يَمكو ، مكاء . إذا جمع يديه ثم صفّر فيهما . ومنه : مكت استُ الدابة ، إذا خرجت منها الريح بصوتٍ . ولهذا جاء على بناء الأصوات ، كالرغاء ، والعواء ، والثغاء (٨٤) . قال ابن السكيت : الأصوات كلها مضمومة ، إلا حرفين : النداء ، والغناء .

وأما التصديّة : فهي في اللغة : التصفيق . يقال : صدى يصدى تصديّة ، إذا صفّق بيديه . قال حسان بن ثابت ، يعيب المشركين بصفيرهم وتصفيقهم : إذا قام الملائكة انبعثتم صلاتكم التصدي والمكاء .

وهكذا الأشباه . يكوّث المسلمون في الصلوات الفرض والتطوع ، وهم في الصفير والتصفيق .

قال ابن عباس « كانت قريش يطوفون بالبيت عراة ، ويصفرون ويصفقون » .

وقال مجاهد « كانوا يعارضون النبي ﷺ في الطواف ويصفرون ويصفقون ، يخلطون عليه طوافه وصلاته » ونحوه عن مقاتل .

(٨٣) سورة الأنفال : ٣٥ .

(٨٤) الرغاء للبعير ، والعواء للكلب ، والثغاء للشاة .

ولا ريب أنهم كانوا يفعلون هذا وهذا .
فالمقربون إلى الله بالصفير والتصفيق أشباه النوع الأول ، وإخوانهم
المخلطون به على أهل الصلاة والذكر والقراءة أشباه النوع الثاني .
قال ابن عرفة ، وابن الأثير : المكاء والتصدية ليسا بصلاة (٨٥) ولكن
الله تعالى أخبر أنهم جعلوا مكان الصلاة التي أمروا بها : المكاء والتصدية .
فألزمهم ذلك عظيم الأوزار ، وهذا كقولك : زرت ، فجعل جفائي صلتى ،
أى أقام الجفاء مقام الصلة .
والمقصود : أن المصفيين والصفارين في يراع أو مزمل ونحوه فيهم شبهة من
هؤلاء ، ولو أنه مجرد الشبه الظاهر . فلهم قسط من اللطم ، بحسب تشبههم
بهم . وإن لم يتشبهوا بهم في جميع مكائهم وتصديتهم ، والله سبحانه لم يشرع
التصفيق للرجال وقت الحاجة إليه في الصلاة إذا نابههم أمر ، بل أمروا بالعدول
عنه إلى التسبيح . لئلا يتشبهوا بالنساء ، فكيف إذا فعلوه للحاجة ، وقرنوا به
أنواعاً من المعاصي قولاً وفعلًا ؟ .

فصل

وأما تسميته رُقِيَّة الزنى .
فهو اسم موافق لمسماه ، ولفظ مطابق لمعناه . فليس في رُقِي الزنى أنجع
منه ، وهذه التسمية معروفة عن الفضيل بن عياض .
قال ابن أبي الدنيا : أخبرنا الحسين بن عبد الرحمن قال : قال فضيل بن
عياض « الغناء رُقِيَّة الزنى » (٨٦) .

(٨٥) ليس صلاة عند الله حقيقة . وإنما سماها الله صلاة لأنهم كانوا يفعلونها في حركاتهم الموقعة
على نغم التصفيق والصفير ، ويقصدون بذلك القربة إلى الله . فعاب الله عليهم ذلك
وذمهم ، وبين أنه لا يحب ذلك ولا يجزيهم عليه إلا العذاب الأليم . وذلك مثل حلقات
التصوفة في زمننا سواء بسواء حركات ورقص ، على أنغام الصفير والتصفيق زين لهم
هواهم المستحكم وجهلهم ، وشياطينهم من الجن والإنس أنها ذكر الله وعبادة . تعالى الله
عن ذلك علواً كبيراً .

(٨٦) الفضيل بن عياض بن مشهور التيمي أبو علي الزاهد المشهور « ثقة عابد إمام » مات سنة
١٨٧ هـ التقريب ١١٣/٢ لابن حجر العسقلاني وذكر الأثر ابن الجوزي في تلبيس
ابليس ص ٢٣٥ .

قال : وأخبرنا إبراهيم بن محمد المروزي عن أبي عثمان الليثي قال : قال يزيد بن الوليد : « يابني أمية ، إياكم والغناء فإنه يَنْقُصُ الحياء ، ويزيد في الشهوة ، ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر ، ويفعل مايفعل السكر ، فإن كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء . فإن الغناء داعية الزنى (٨٧) » .

قال : وأخبرني محمد بن الفضل الأزدي قال : نزل الحُطَيْيَّةُ (٨٨) برجل من العرب ، ومعه ابنته مُلَيْكَة ، فلما جئته الليل سمع غناء . فقال لصاحب المنزل : كَيْفَ هذا عني ، فقال : وماتكره من ذلك ؟ فقال : إن الغناء رائد من رَادَةِ الفجور ، ولا أحب أن تسمعه هذه ، يعني ابنته ، فإن كَفَفْتَهُ وإلا خرجتُ عنك (٨٩) .

ثم ذكر عن خالد بن عبد الرحمن قال « كنا في عسكر سليمان بن عبد الملك ، فسمع غناء من الليل ، فأرسل إليهم بُكَاءً ، فجىء بهم . فقال : إن الفرس ليصهل فتستودق له الرَّمْكة وإن الفحل ليهدر فتضبع له الناقة ، وإن التيس لينبُ فتستحرم له العنز (٩٠) وإن الرجل ليتغنى فتشتاق إليه المرأة . ثم قال : اخصوهم ، فقال عمر بن عبد العزيز : هذه المثلة ، ولا تحل ، فخل سبيلهم ، قال : فخل سبيلهم » .

قال : وأخبرنا الحسين عبد الرحمن قال : قال أبو عبيدة معمر ابن المثنى « جاور الحطيئة قوماً من بني كلب ، فمشى ذو الدين (٩١) منهم بعضهم إلى بعض ، وقالوا : يا قوم ، إنكم قد رُميتم بداهية . هذا الرجل شاعر ، والشاعر

(٨٧) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الملاحى وابن كثير في البداية والنهاية ١٠ / ١٦ عن ترجمة يزيد بن الوليد .

(٨٨) الحطيئة : شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام ومن حذاقهم في جميع الفنون انظر الاغانى ١٥٧ / ٢ .

(٨٩) أوردها الآجرى رحمه الله في كتابه تحريم الرد الشطرنج والملاحى ص ٣٩٥ .
(٩٠) الرمكة - محرمة - الفرس تتخذ للنسل . واستودقت : دنت للفحل وأرادته ، وأظهرت له حاجتها للسفاد ، وهدر البعير صوت في غير شقشقة من شدة هيجانه وحبه عن السفاد .
ولب التيس صاح للعنز يطلبها واستحرمت العنز ، وكل ذات ظلف والكلبة والدبة : حراماً - بكسر الحاء المهملة - أرادت فعلها .

(٩١) في نسخة « ذو النهى » .

يظنّ فيُحَقِّق ، ولا يستأنى ، ولا يأخذ الفضل فيعفو ، فأتوه وهو في فناء
خباثته (٩٢) ، فقالوا: يا أبا مليكة ، إنه قد عظم حقلك علينا بتخطيك القبائل
إلينا ، وقد أتيناك لنسألك عما تحب ، فنأتيه وعما تكره ، فنزدجر عنه ،
فقال: جنبوني ندى مجلسكم ، ولا تُسمعوني أغاني شبيبتكم . فإن الغناء رقية
الزنى (٩٣) .

فإذا كان هذا الشاعر المفتون اللسان ، الذى هابت العرب هجاءه خاف
عاقبة الغناء . وأن تصل رقيقته إلى حرمة . فما الظن بغيره ؟
ولا ريب أن كل غيور يُجنّب أهله سماع الغناء ، كما يُجنّبن أسباب
الريب . ومن طرّق أهله إلى سماع رقية الزنى فهو أعلم بالإثم الذى يستحقه .
ومن الأمر المعلوم عند القوم: أن المرأة إذا استصعبت (٩٤) على الرجل
اجتهد أن يسمعها صوت الغناء . فحينئذ تعطى اللبان .
وهذا لأن المرأة سريعة الانفعال للأصوات جداً . فإذا كان الصوت
بالغناء ، صار انفعالها من وجهين: من جهة الصوت . ومن جهة معناه . ولهذا
قال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لأنجشة حاديه (٩٥) « يا أنجشة ،
رؤيدك . رفقا بالقوارير (٩٦) » يعنى النساء .

فأما إذا اجتمع إلى هذه الرقية الدف . والشبابة ، والرقص بالتخت
والتكسر . فلو حبلت المرأة من غناء لحبلت من هذا الغناء .
فلعمر الله ، كم من حرة صارت بالغناء من البغايا . وكم من حر أصبح به
عبداً للصبيان أو الصبايا . وكم من غيور تبدّل به اسماً قبيحاً بين البرايا . وكم
من ذى غنى وثروة أصبح بسببه على الأرض بعد المطارف (٩٧)

(٩٢) الخباء: من الأبنية يكون من وبر أو صوف أو شعر .

(٩٣) انظر تحريم الرد والشطرنج والملاهي للحافظ الآجرى ص ٣٩٥ .

(٩٤) فى نسخة «استصعبت» .

(٩٥) الحادى: الذى ينشد الإبل حتى تسرع فى السير .

(٩٦) كان أنجشة عبداً أسود ، حسن الصوت يحدو بأمهات المؤمنين . رواه البخارى ومسلم

والنسائي وأبو داود الطيالسى .

(٩٧) المطارف: جمع مطرف وهو رداء من خز مربع ذو أعلام .

والحشايا (٩٨) . وكم من مُعافى تعرَّض له فأمسى ، وقد حلَّت به أنواع
البلايا . وكم أهدى للمشغوف به من أشجان وأحزان ، فلم يجد بُدّاً من قبول
تلك الهدايا . وكم جرَّع من غَصَّة وأزال من نعمة . وجلب من نقمة . وذلك
منه من إحدى العطايا . وكم خبّاً لأهله من آلام مُنتظرة ، وغموم مُتوقعة .
وهوم مُستقبلة .

فسل ذا خبرة يُنبِّيك عنه لتعلم كم خبايا في الزوايا
وحاذر إن شُعِفَتْ به سهماً مُرِيَّةً بأهداب المنايا (٩٩)
إذا ماخالطت قلباً كميّاً تمزَّق بين أطباق الرزايا (١٠٠)
ويصبحُ بعد أن قد كان حُرّاً عفيف الفرج : عبداً للصبايا
ويعطى من به يعنى غناءً وذلك منه من شرِّ العطايا

فصل

وأما تسميته : مُنْبِثُ النفاق .

فقال على بن الجعد : حدثنا محمد بن طلحة عن سعيد بن كعب المروزي
عن محمد بن عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال :
« الغناء يُنْبِثُ النفاق في القلب كما يُنْبِثُ الماءُ الزرع » .

وقال شعبة : حدثنا الحكم عن حماد عن إبراهيم قال : قال عبد الله ابن
مسعود « الغناء يُنْبِثُ النفاق في القلب » .

وهو صحيح عن ابن مسعود من قوله . وقد روى عن ابن مسعود مرفوعاً
رواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذمِّ الملاحى . (١٠١)

(٩٨) الحشايا : الفرش المحشوة .

(٩٩) المنايا : جمع منى وهو الموت .

(١٠٠) الرزايا : المصائب .

(١٠١) وسوف نقوم تباعاً إن شاء الله بنشر تراث ابن أبي الدنيا وقد صدر منه بحمد الله كتاب
«الفرج بعد الشدة» .

قال : أخبرنا عصمة بن الفضل حدثنا حزمي بن عمار حدثنا سلام بن مسكين حدثنا شيخ عن أبي وائل عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل (١٠٢) » .

وقد تابع حزمي بن عمار عليه بهذا الإسناد والمتن مسلم ابن إبراهيم . قال أبو الحسين بن المنادي في كتاب أحكام الملامى : حدثنا محمد بن علي بن عبد الله ابن حمدان المعروف بحمدان الوراق ، حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا سلام بن مسكين - فذكر الحديث . فمداره على هذا الشيخ المجهول . وفي رفعه نظر . والموقوف أصح .

فإن قيل : فما وجه إنباته للنفاق في القلب من بين سائر المعاصي ؟ قيل : هذا من أدل شيء على فقه الصحابة في أحوال القلوب وأعمالها ، ومعرفتهم بأدويتها وأدوائها ، وأنهم هم أطباء القلوب ، دون المنحرفين عن طريقهم ، الذين داووا أمراض القلوب بأعظم أدوائها . فكانوا كالمداوى من السقم بالسقم القاتل ، وهكذا والله فعلوا بكثير من الأدوية التي ركبوها ، أو بأكثرها ، فاتفق قلة الأطباء ، وكثرة المرضى ، وحدثت أمراض مزمنة لم تكن في السلف ، والعدول عن الدواء النافع ، الذي ركبه الشارع ، وميل المريض إلى مايقوى مادة المرض ، فاشتد البلاء وتفاقم الأمر ، وامتألت الدور والطرق والأسواق من المرضى ، وقام كل جهول يُطال الناس .

فاعلم أن للغناء خواص لها تأثير في صبغ القلب بالنفاق ، ونباته فيه كنبات الزرع بالماء .

فمن خواصه : أنه يلهى القلب ويصده عن فهم القرآن وتدبره ، والعمل بما فيه ، فإن القرآن والغناء لا يجتمعان في القلب أبداً . لما بينهما من التضاد ، فإن القرآن ينهى عن اتباع الهوى ، ويأمر بالعفة ، ومجانبة شهوات النفوس ،

(١٠٢) البقل : نبات الأرض « فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها ونصلها » الآية ٦١ : سورة البقرة .

وأَسباب الغنى ، وينهى عن اتباع خطوات الشيطان ، والغناء يأمر بضد ذلك كله ، ويُحسِّنه ، ويُهيِّج النفوس إلى شهوات الغنى . فيشير كامنها ، ويزعج قاطننها ، ويحركها إلى كل قبيح ، ويسوقها (١٠٣) إلى وَصل كل مليحة ومليح . فهو والخمر رضيعا لبان ، وفي تهيجهما على القبائح فرسا رهان . فإنه صِنُو (١٠٤) الخمر ورضيعه ونائبه وحليفه . وخدينه (١٠٥) وصديقه . عقد الشيطان بينهما عقد الإخاء الذى لا يفسخ ، وأحكم بينهما شريعة الوفاء التى لا تُنسخ ، وهو جاسوس القلب ، وسارق المروءة ، وسُوس العقل ، يتغلغل فى مكامن القلوب ، ويطلع على سرائر الأفئدة ، ويدبُّ إلى محل التخيل . فيشير مافيه من الهوى والشهوة ، والسخافة ، والرَّقاعة ، والرَّعونة (١٠٦) ، والحماقة . فبينما ترى الرجل وعليه سمة الوقار وبهاء العقل ، وبهجة الإيمان ، ووقارُ الإسلام ، وحلاوة القرآن . فإذا استمع الغناء ومال إليه نقص عقله ، وقَلَّ حياؤه ، وذهبت مُروءته ، وفارقه بهاؤه . وتخلَّى عنه وقاره . وفرح به شيطانه ، وشكا إلى الله تعالى إيمانه . وثقل عليه قرآنه . وقال : يارب لا تجمع بينى وبين قرآن عدوك فى صدر واحد . فاستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه . وأبدى من سرِّه ما كان يكتمه . وانتقل من الوقار والسكينة إلى كثرة الكلام والكذب ، والزهوة (١٠٧) والفرقة بالأصابع . فيميل برأسه ، ويهزُّ منكبيه ، ويضرب الأرض برجليه ، ويدق على أمِّ رأسه بيديه ، ويثب الدُّباب ، ويدور دوران الحمار حول الدولاب (١٠٨) ، ويصفق بيديه تصفيق النسوان ، ويخور من الوجد ولا كخوار الثيران ، وتارة يتأوه تأوه الحزين ، وتارة يزعق زعقات المجانين . ولقد صدق الخبير به من أهله حيث يقول :

(١٠٣) فى نسخة « ويشوقها » .

(١٠٤) صنو : الصنو الشقيق والابن والعم .

(١٠٥) الخدين : الصاحب .

(١٠٦) الرعونة : الحمق والاسترخاء .

(١٠٧) الزهوة : الخيلاء .

(١٠٨) الدولاب : آلة يستقى بها الماء .

أتذكرُ ليلةً وقد اجتمعنا
ودارت بيننا كأسُ الأغاني
فلم ترَ فيهم إلا نشاوى (١١٠)
إذا نادى أخو اللذات فيه
ولم تملك سوى المهجات (١١٢) شيئاً

على طيب السماع إلى الصباح ؟
فأسكرت النفوسَ بغير راح (١٠٩)
سروراً ، والسرورُ هناك صاحي
أجاب اللهو : حتى على السَّمّاح (١١١)
أرقناها (١١٣) لألحاظ (١١٤) الملاح

وقال بعض العارفين : السماع يورث النفاق في قوم . والعناد في قوم والكذب في قوم ، والفجور في قوم والرعوننة في قوم .

وأكثر ما يورث عشق الصور ، واستحسان الفواحش . وإدمانه يُثقل القرآن على القلب . ويكرّره إلى سماعه بالخاصية ، وإن لم يكن هذا نفاقاً فما للنفاق حقيقة .

وسر المسألة : أنه قرآن الشيطان ، كما سيأتي ، فلا يجتمع هو وقرآن الرحمن في قلب أبداً .

وأيضاً فإن أساس النفاق : أن يخالف الظاهر الباطن ، وصاحب الغناء بين أمرين ، إما أن يتهتك (١١٥) فيكون فاجراً ، أو يظهر التسك فيكون منافقاً ، فإنه يُظهر الرغبة في الله والدار الآخرة وقلبه يغلي بالشهوات ، ومحبة ما يكرهه الله ورسوله : من أصوات المعازف ، وآلات اللهو ، وما يدعوه إليه الغناء ويُهَيِّجُه ، فقلبه بذلك معمور ، وهو من محبة ما يحبه الله ورسوله وكراهة ما يكرهه قفر (١١٦) . وهذا محض النفاق .

(١٠٩) الراح : الخمر .

(١١٠) نشاوى : سكارى .

(١١١) السّمّاح : ضرب من الرقص الجماعي يتشابك فيه الراقصون أو الراقصات على شكل حلقة .

(١١٢) المهجة : الروح .

(١١٣) الأرق : السهر بالليل .

(١١٤) ألحاظ : اللحاظ مؤخر العين فما يلي الصدغ .

(١١٥) يتهتك : لم يبال أن يتهتك سره حين يرتكب خطأ .

(١١٦) قفر : خالي .

وأيضاً فإن الإيمان قول وعمل : قول بالحق ، وعمل بالطاعة . وهذا يُثبت على الذكر ، وتلاوة القرآن . والنفاق قول الباطل ، وعمل البغى . وهذا يثبت على الغناء .

وأيضاً ، فمن علامات النفاق : قلة ذكر الله ، والكسل عند القيام إلى الصلاة ، ونقر الصلاة ، وقَلَّ أن تجد مفتوناً بالغناء إلا وهذا وصفه .
وأيضاً : فإن النفاق مؤسس على الكذب ، والغناء من أكذب الشعر ، فإنه يُحسن القبيح ويُزيّنه ، ويأمر به ، ويقبّح الحسن ويزهّد فيه ، وذلك عين النفاق .

وأيضاً . فإن النفاق غش ومكر وخداع ، والغناء مؤسس على ذلك .
وأيضاً . فإن المنافق يُفسد من حيث يظن أنه يُصلح ، كما أخبر الله سبحانه بذلك عن المنافقين وصاحب السماع يفسد قلبه وحاله من حيث يظن أنه يُصلحه . والمغنى يدعو القلوب إلى فتنة الشهوات . والمنافق يدعوها إلى فتنة الشبهات . قال الضحّاك « الغناء مفسدة للقلب ، مسخطة للرب » .

وكتب عُمر بن عبد العزيز إلى مؤدب ولده « ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بُغْضُ المَلاهي ، التي بدّوها من الشيطان ، وعاقبتها سخط الرحمن فإنه بلغني عن الثقات من أهل العلم : أن صوت المعازف ، واستماع الأغاني ، واللهج بها (١١٧) . يُثبت النفاق في القلب كما يثبت العُشْبُ على الماء » (١١٨) .

فالغناء يفسد القلب . وإذا فسد القلب هاج فيه النفاق .
وبالجملة . فإذا تأمل البصير حال أهل الغناء ، وحال أهل الذكر والقرآن . تبين له جذق الصحابة ومعرفتهم بأدواء القلوب ، وأدويتها . وبالله التوفيق .

★ ★ ★

(١١٧) اللهج بها : لهج به أى ثابر عليه .

(١١٨) هذه الوصية والتعليمات من خامس الخلفاء الراشدين رحمهم الله يمكن الرجوع إليها في كتاب « ذم المَلاهي » لابن أبي الدنيا قريبا « تحت الطبع » ان شاء الله .

فصل

وأما تسميته قرآن الشيطان ..

فمأثور عن التابعين ، وقد رُوى في حديث مرفوع .

قال قتادة « لما أهبط إبليس قال : يارب لعنتي ، فما عملي ؟ قال : السحر . قال : فما قرآني ؟ قال : الشعر . قال : فما كتابي ؟ قال : الوشم (١١٩) ، قال : فما طعامي قال : كل ميتة ، وما لم يذكر اسم الله عليه ، قال : فما شرابي ؟ قال : كل مسكر . قال : فأين مسكني ؟ قال : الأسواق . قال : فما صوتي ؟ قال : المزامير ، قال : فما مصايدى ؟ قال : النساء » (١٢٠) .

هذا . والمعروف في هذا وقفه . وقد رواه الطبراني في مُعجمه من حديث أبي أمامة مرفوعاً إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم .

وقال ابن أبي الدنيا ، في كتاب مكاييد الشيطان وحيله : حدثنا أبو بكر التميمي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا يحيى بن أيوب قال حدثنا ابن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « إن إبليس لما أنزل إلى الأرض قال : يارب ، أنزلتني إلى الأرض ، وجعلتني رجيماً ، فاجعل لي بيتاً ، قال : الحمام ، قال : فاجعل لي مجلساً ، قال : الأسواق ومجامع الطرقات . قال : فاجعل لي طعاماً . قال : كل ما لم يُذكر اسم الله عليه . قال : فاجعل لي شراباً . قال : كل مُسكر . قال : فاجعل لي مؤذناً . قال : المزمار . قال : فاجعل لي قرآناً . قال : الشعر ، قال : فاجعل لي كتاباً . قال : الوشم . قال : فاجعل لي حديثاً . قال : الكذب . قال : فاجعل لي رُسلاً . قال : الكهنة ، قال : فاجعل لي مصايد . قال : النساء » .

وشواهد هذا الأثر كثيرة . فكل جملةٍ منه لها شواهد من السنة ، أو من القرآن .

(١١٩) الوشم : ما يكون من غرز إبرة في البدن وذو النيلج عليه حتى يزرق أثره أو يحضر .

(١٢٠) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٢٦٨/١١ باب الشعر والرجز رقم ٢٠٥١١ وكذا

الطبراني كما في مجمع الزوائد ١١٩/٨ وهو صحيح لكثرة شواهد وكذلك أثر ابن أبي

الدنيا التالي . عن أبي أمامة .

فكون السّحر من عمل الشيطان شاهده قوله تعالى (واتبعوا ما تنزلوا الشياطين على مُلْكِ سُلَيْمَانَ وما كفر سليمانَ ولكنّ الشياطين كفروا يُعلّمون الناس السّحر) (١٢١) .

وأما كون الشعر قرآنه . فشاهده : مارواه أبو داود في سننه من حديث جُبَيْر بن مُطْعَم «أنه رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يصلى . فقال : الله أكبر كبيراً ، الله أكبر كبيراً ، الله أكبر كبيراً ، الحمد لله كثيراً ، الحمد لله كثيراً ، الحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بُكْرَةً وَأَصِيلاً - ثلاثاً - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : من نفخه ، ونفثه ، وهمزه . قال : نفثه الشعر ، ونفخه : الكبّر ، وهمزه : الموتة » (١٢٢) .

ولما علّم الله رسوله القرآن ، وهو كلامه ، صانه عن تعليم قرآن الشيطان . وأخبر أنه لا ينبغي له ، قال (وما علّمناه السّحر وما ينبغي له) (١٢٣) .

وأما كون الوشم كتابه ، فإنه من عمله وتزيينه ، ولهذا لعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الواشمة والمستوشمة (١٢٤) فلعن الكاتبة والمكتوب عليها .

وأما كون الميتة ومتروك التسمية طعاماً . فإن الشيطان يستحل الطعام ، إذا لم يُذكر عليه اسم الله ، ويشارك أكله ، والميتة لا يُذكر عليها اسم الله تعالى ، فهي وكل طعام لا يُذكر عليه اسم الله عز وجل من طعامه ، ولهذا لما سأل الجن الذين آمنوا برسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الزّاد ، قال «لكم كل عَظِيم ذَكَرَ اسم الله عليه (١٢٥)» فلم يُبيح لهم طعام الشياطين ، وهو متروك التسمية .

(١٢١) سورة البقرة : ١٠٢ .

(١٢٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ : وقال الترمذى : هو أشهر حديث فى هذا الباب و«الموتة» يسكون الواو : الجنون .

(١٢٣) سورة يس : ٦٩ .

(١٢٤) رواه البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه عن ابن عمر وابن عباس وابن مسعود .

(١٢٥) رواه أحمد ومسلم وأبو داود عن ابن مسعود رضى الله عنه .

وأما كون المسكر شرابه . فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان) (١٢٦) فهو يشرب من الشراب الذى عمله أولياؤه بأمره ، وشاركهم فى عمله . فيشاركهم فى عمله وشربه ، وإثمه ، وعقوبته .

وأما كون الأسواق مجلسه ففى الحديث الآخر «أنه يركز رايته بالسوق» ولهذا يحضره اللغو واللغظ (١٢٧) والصخب (١٢٨) والخيانة والغش . وكثير من عمله ، وفى صفة النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى الكتب المتقدمة «أنه ليس صخابا بالأسواق (١٢٩)» .

وأما كون الحمام بيته . فشاهده كونه غير محل للصلاة ! وفى حديث أبى سعيد «الأرض كلها مسجدة إلا المقبرة والحمام» (١٣٠) ولأنه محل كشف العورات . وهو بيت مؤسس على النار ، وهى مادة الشيطان التى تُخلق منها . وأما كون الزمار مؤذنه . ففى غاية المناسبة ، فإن الغناء قرآنه ، والرقص والتصفيق - اللذين هما المكاء والتصدية - صلاته ، فلا بد لهذه الصلاة من مؤذن وإمام ومأموم . فالمؤذن الزمار ، والإمام المغنى ، والمأموم الحاضرون . وأما كون الكذب حديثه . فهو الكاذب ، الأمر بالكذب ، المزيّن له . فكل كذب يقع فى العالم فهو من تعليمه وحديثه .

وأما كون الكهنة رسله ، فلأن المشركين يهرعون إليهم ، ويفزعون إليهم فى أمورهم العظام ، ويصدقونهم ، ويتحاكمون إليهم ، ويرضون بحكمهم ، كما يفعل أتباع الرسل بالرسول ، فإنهم يعتقدون أنهم يعلمون الغيب ، ويخبرون عن المغيبات التى لا يعرفها غيرهم . فهم عند المشركين بهم بمنزلة الرسل . فالكهنة رسل الشيطان حقيقة . أرسلهم إلى حزبه من المشركين وشبّههم بالرسول

(١٢٦) سورة المائدة آية : ٩٠ .

(١٢٧) اللغظ : الصوت والجلجلة .

(١٢٨) الصخب : تعالى الأصوات واختلاطها .

(١٢٩) رواه البخارى ومسلم عن محمد بن عمرو بن العاص .

(١٣٠) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه وابن عزيمة وابن حبان والحاكم .

الصادقين ، حتى استجاب لهم حربه ، ومثل رسل الله بهم لينفر عنهم ، ويجعل رسله هم الصادقين العالمين بالغيب ، ولما كان بين النوعين أعظم التضاد قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد (١٣١) » .

فإن الناس قسمان : أتباع الكهنة ، وأتباع رسل الله . فلا يجتمع في العبد أن يكون من هؤلاء وهؤلاء . بل يتعد عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بقدر قربه من الكاهن . ويكذب الرسول بقدر تصديقه للكاهن . وقوله : اجعل لي مصايد . قال : مصايدك النساء . فالنساء أعظم شبكة له ، يصطاد بهن الرجال . كما سيأتي إن شاء الله تعالى في الفصل الذي بعد هذا .

والمقصود : أن الغناء المحرم قرآن الشيطان .

ولما أراد عدو الله أن يجمع عليه نفوس المبطلين قرنه بما يُزينه من الألحان المطربة ، وآلات والملاهي والمعازف ، وأن يكون من امرأة جميلة ، أو صبي جميل . ليكون ذلك أدعى إلى قبول النفوس لقرآنه ، وتعوّضها به عن القرآن المجيد .

فصل

وأما تسميته بالصوت الأحق ، والصوت الفاجر .

فهو تسمية الصادق المصدوق ، الذي لا ينطق عن الهوى .

فروى الترمذى من حديث ابن أبى ليلى عن عطاء عن جابر رضى الله عنه قال « خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مع عبد الرحمن بن عوف إلى النخل ، فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه (١٣٢) ، فوضعه في حجره ، ففاضت

(١٣١) رواه البزار عن عمران بن حصين بإسناد جيد ورواه الطبرانى عن ابن عباس بإسناد حسن . قاله المنذرى في الترغيب والترهيب . لزيادة التفصيل يراجع كتاب « معارج القبول شرح سلم الوصول » للشيخ حافظ حكمى وشرح العقيدة الطحاوية تحقيق ناصر الدين الألبانى .

(١٣٢) يجود بنفسه : يحتضر .

عيناهُ ، فقال عبد الرحمن : أتبكي ، وأنت تنهى الناس ؟ قال : إني لم أئنه عن البكاء ، وإنما نهيت عن صوتين أحققين فاجرين : صوت عند نعمة : لهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة : خمش وجوه (١٣٣) ، وشق جيوب (١٣٤) ، ورنه (١٣٥) . وهذا هو رحمة ، ومن لا يرحم لا يرحم . لولا أنه أمر حق ، ووعد صدق ، وأن آخرنا سيلحق أولنا ، لحزنّا عليك حُزناً هو أشد من هذا ، وإنا بك لمحزونون ، تبكي العين ويخزن القلب ، ولا نقول ما يُسخط الرب » قال الترمذى : هذا حديث حسن (١٣٦) .

فانظر إلى هذا النهى المؤكد ، بتسميته صوت الغناء صوتاً أحقق ، ولم يقتصر على ذلك ، حتى وصفه بالفجور ، ولم يقتصر على ذلك حتى سماه من مزامير الشيطان ، وقد أقر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أبا بكر الصديق على تسمية الغناء زمور الشيطان في الحديث الصحيح ، كما سيأتى ، فإن لم يستفد التحريم من هذا لم نستفده من نهى أبداً .

وقد اختُلف في قوله « لا تفعل » وقوله « نهيت » عن كذا » أيهما أبلغ في التحريم ؟ .

والصواب بلا ريب : أن صيغة « نهيت » أبلغ في التحريم ، لأن « لا تفعل » يحتمل النهى وغيره ، بخلاف الفعل الصريح .

فكيف يستجيز العارف إباحة ما نهى عنه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وسمّاه صوتاً أحقق فاجراً ، ومزمور الشيطان ، وجعله والنياحة التي لعن فاعلها أخوين ؟ وأخرج النهى عنهما مخرجاً واحداً ، ووصفهما بالحمق والفجور وصفاً واحداً .

(١٣٣) خمش الوجوه : لطم الوجوه وضربها .

(١٣٤) الجيوب : القمصان .

(١٣٥) رنة : صياح .

(١٣٦) رواه ابو داود الطيالسى ١٥٩/١ واسحق بن راهويه وابن أبى شبة وعبد بن حميد كما في

نصب الراية ٨٤/٤ والترمذى ٣٦/٢ « تحفة الاحوذى ط الهند » وحسنه والبراز كما في

الترغيب والترهيب ٣٥٠/٤ وابو يعلى الموصلى كما في نصب الراية ٨٤/٤ والحاكم في

المستدرک ٤٠/٤ والبيهقى في السنن الكبرى ٦٩/٤ .

وقال الحسن «صوتان ملعونان : مِزمار عند نعمة . ورنة عند مصيبة» .
وقال أبو بكر الهذلي «قَلْتُ للحسن : أكان نساء المهاجرات يصنعن ما يصنع
النساء اليوم ؟ قال : لا ولكن ههنا نَحْمَشُ وجوه ، وشق جيوب ، وتثف
أشعار ، ولَطَمُ خدود ، ومزامير شيطان ، صوتان قبيحان فاحشان : عند نعمة
إن حدثت ، وعند مصيبة إن نزلت ، ذكر الله المؤمنين فقال (والذين في
أموالهم حقٌّ معلومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) (١٣٧) وجعلتم أنتم في أموالكم حقاً
معلوماً للمغنية عند النعمة ، والنائحة عند المصيبة» .

فصل

وأما تسميئة صوت الشيطان ...

فقد قال تعالى للشيطان وحزبه (اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ
جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا وَاسْتَفْزِرْ) (١٣٨) مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلَبَ
عليهم بخيلك وَرَجَلِكِ وَشَارَكَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) (١٣٩) .

قال ابنُ أبي حاتم في تفسيره : حدثنا أبي أخبرنا أبو صالح - كاتب الليث -
حدثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (واستفز من
استطعت منهم بصوتك) قال : «كَلَّ دَاغٌ إِلَى مَعْصِيَةٍ» .
ومن المعلوم أن الغناء من أعظم الدواعي إلى المعصية . ولهذا فسّر صوت
الشيطان به .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي أخبرنا يحيى بن المغيرة أخبرنا جرير عن ليث
عن مجاهد (واستفز مَنْ استطعت منهم بصوتك) قال «استزَلَّ مِنْهُمْ مَنْ
استطعت» قال «وصوته الغناء ، والباطل» .

(١٣٧) سورة المعارج : ٢٤ ، ٢٥ .

(١٣٨) استفز : أثار .

(١٣٩) سورة الاسراء : ٦٣ ، ٦٤ .

وبهذا الإسناد إلى جرير عن منصور عن مجاهد قال «صوته هو المزمار» ثم روى بإسناده عن الحسن البصري قال «صوته هو الدف» .
وهذه الإضافة إضافة تخصيص ، كما أن إضافة الخيل والرَّجُل إليه كذلك ، فكل متكلم بغير طاعة الله ، ومُصَوِّت يبرأع أو مزمار ، أو دف حرام ، أو طَبْل . فذلك صوت الشيطان ، وكل ساعٍ في معصية الله على قدميه فهو من رَجَلِهِ ، وكل راكب في معصية الله فهو خَيْالته . كذلك قال السلف ، كما ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال «رَجَلُهُ كل رَجُلٍ مشى في معصية الله» .
وقال مجاهد «كل رجل يقاتل في غير طاعة الله فهو رَجُلُهُ» .
وقال قتادة : «إِنَّ لَهُ خَيْلاً وَرَجَلاً مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْس» .

فصل

وأما تسميته زمور الشيطان ...

ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت «دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعندي جاريتان تُغنيان بغناء بُعَاث^(١٤٠) فاضطجع على الفراش ، وحَوَّل وجهه ، ودخل أبو بكر رضي الله عنه ، فانتهرني ، وقال : زممار الشيطان عند النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ؟ فأقبل عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، فقال : دَعَهُمَا ، فلما غفل غَمَزْتُهُمَا ، فخرجتا»^(١٤١) . فلم يُنكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم على أبي بكر تسمية الغناء زممار الشيطان ، وأقرهما ، لأنهما جاريتان غير مكلفتين

(١٤٠) «بُعَاث» بضم الموحدة ، وبعدها عين مهملة وآخرها ثاء مثناة ، وهو حصن للأوس . يقال : كان في دار بني قريظة على ليلتين من المدينة . كان يوم بعث آخر العداء والقتال بين الأوس والخزرج وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنين على الأصح . فلما هاجر رسول الله ﷺ طهر قلوبهم من هذه الحن وأنعم عليهم بأخوة الإسلام فألف بين قلوبهم وأصبحوا بنعمته إخوانا انظر فتح الباري لابن حجر ٧٧/٨ .
(١٤١) فتح الباري ط السلفيه ٤٤٥/٢ أحمد في مسنده ١٣٤/٦ ومسلم ٢١/٣ ط الحلبي وابن ماجه ٦١٢/١ والنسائي في سننه ١٩٦/٣ .

تغنيان بغناء الأعراب ، الذى قيل فى يوم حرب بُعَاث من الشجاعة ،
والحرب . وكان اليوم يوم عيد ، فتوسّع حزب الشيطان فى ذلك إلى صوت
امرأة جميلة أجنبية ، أو صبية أمرد صوته فتنة ، وصورته فتنة ، يغنى بما يدعو
إلى الزنى والفجور ، وشرب الخمر مع آلات اللهو التى حرمها رسول الله
صلّى الله تعالى عليه وآله وسلم فى عدة أحاديث ، كما سيأتى ، مع التصفيق
والرقص ، وتلك الهيئة المنكرة التى لا يستحلها أحد من أهل الأديان ، فضلا
عن أهل العلم والإيمان ، ويحتجون بغناء جُويريتين غير مكلفتين بنشيد
الأعراب ، ونحوه فى الشجاعة ونحوها ، فى يوم عيد ، بغير شَبَابَة ولادف ،
ولارقص ولا تصفيق ، ويدعون المحكم الصريح ، لهذا المتشابه ، وهذا شأن
كلّ مبطل .

نعم . نحن لا نُحَرِّم ولا نكره مثل ما كان فى بيت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم على ذلك الوجه ، وإنما نحرم نحن وسائر أهل العلم والإيمان
السماع المخالف لذلك ، وبالله التوفيق .

فصل

وأما تسميته بالسمود ...

فقد قال تعالى : (أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ
وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) (١٤٢) قال عكرمة عن ابن عباس «السمود: الغناء فى لغة
جَمِيرٍ» . يقال : اسْمُدَى لَنَا ، أى غنى لنا (١٤٣) ، (أبو زيد :

وكان العزيف فيها غناء للندامى من شارب مَسْمُود

قال أبو عُبيدة : «المسمودُ: الذى غَنَّى له» ، وقال عكرمة : «كانوا إذا
سمعوا القرآن تَغَنَّوا . فنزلت هذه الآية» .

وهذا لا يناقض ما قيل فى هذه الآية من أن «السمود» النقلة والسهو عن
الشيء ، قال المبرد : هو الاشتغال عن الشيء بِهِمْ أو فرح ، يتشاغل به وأنشد :

(١٤٢) سورة النجم آية : ٥٩ ، ٦١ .

(١٤٣) صحيح بهذا السند كما سيأتى إن شاء الله .

رمى الحد ثان (١٤٤) نِسوة آل حرب بمقدار سمَدَن له سُمسودا
وقال ابن الأنباري: السامدُ اللاهِي ، والسامدُ الساهِي ، والسامدُ المتكبر ،
والسامد القائم .

وقال ابن عباس: في الآية: «وَأَنْتُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» وقال الضحاک
«أشيرون (١٤٥) بطرون (١٤٦)» وقال مجاهد «غَضَاب مُبْرِطُمُونَ (١٤٧)» وقال
غيره «لاهون غافلون مُعْرِضُونَ» .

فالغناء يجمع هذا كله ، ويوجبه .
فهذه أربعة عشر اسماً ، سوى اسم الغناء .

★ ★ ★

فصل

في بيان تحريم رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الصريح لآلات
اللهو والمعازف ، وسياق الأحاديث في ذلك .

عن عبد الرحمن بن غَنَم قال: حدثني أبو عامر ، أو أبو مالك الأشعري
رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول: «لَيْكُونَنَّ
مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يَسْتَمِلُونَ (١٤٨) الْحَرَّ وَالْحَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ» هذا حديث
صحيح ، أخرجه البخاري في صحيحه محتجا به . وعلقه تعليقا مجزوماً به ،
فقال «باب ماجاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه ، وقال هشام ابن

(١٤٤) الحد ثان: الفتيان .

(١٤٥) أشرون: فرعون .

(١٤٦) بطرون: من التكبر والطمع بالنعمة .

(١٤٧) مبرطمون: متغيطون .

(١٤٨) الحر: الفرج والمراد الزنى بالحاء المهملة والراء الخفيفة .

عمار (١٤٩) : حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنا عطية بن قيس الكلبي حدثني عبد الرحمن بن غنم الأشعري قال حدثني أبو عامر ، أو أبو مالك الأشعري - والله ما كذبنى - أنه سمع النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يقول « ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ، ولينزلن أقوام إلى جنب علم (١٥٠) يروح عليهم يسارح (١٥١) لهم ، يأتهم لحاجة فيقولوا : ارجع إلينا غداً ، فيبيتهم (١٥٢) الله تعالى ويضع العلم ، (١٥٣) ويمسح آخرين قرده وخنازير إلى يوم القيامة (١٥٤) » .

ولم يصنع من قدح في صحة هذا الحديث شيئاً ، كابن حزم (١٥٥) ، نُصرة لمذهبه الباطل في إباحة الملاحى ، وزعم أنه منقطع ، لأن البخارى لم يصل سنده به .

(١٤٩) قال الحافظ في الفتح (ج . ١٠ ص ٤١) فروى - يعنى أبا ذر الهروى - الحديث عن شيوخه الثلاثة عن الفريرى البخارى قال : وقال هشام بن عمار . ولما فرغ من سياقه قال أبو ذر : حدثنا أبو منصور الفضل بن العباس النضرى حدثنا الحسين بن إدريس حدثنا هشام بن عمار به . ثم قال الحافظ في الرد على ابن حزم . قال ابن الصلاح في علوم الحديث : التعليق في أحاديث من صحيح البخارى قطع إسنادها وصورتها صورة الانقطاع ، وليس حكمه حكمه ، ولا خارجاً ما وجد ذلك فيه من قبيل الصحيح إلى قبيل الضعيف . ولا التفات إلى أبى محمد بن حزم الظاهرى الحافظ في رد ما أخرجه البخارى من حديث أبى عامر أو أبى مالك الأشعري عن رسول الله ﷺ « ليكونن من أمتي - الحديث » من جهة أن البخارى أورده قائلاً : قال هشام بن عمار - وساقه بإسناده - فزعم ابن حزم أنه منقطع فيما بين البخارى وهشام . وجعله جواباً عن الاحتجاج به على تحريم المعازف . وأخطأ في ذلك من وجوه . والحديث صحيح معروف الاتصال بشرط الصحيح . والبخارى قد يفعل مثل ذلك لكونه قد ذكر الحديث في موضع آخر من كتابه مسنداً متصلاً . وقد يفعل ذلك لغير ذلك من الأسباب التى لا يصحها خلل الانقطاع آه . وقد أطل الحافظ القول في تصحيح هذا الحديث وتخريجه .

(١٥٠) العلم : هو الجبل العالى أو قمة الجبل .

(١٥١) السارحة : الماشية التى تسرح بالغداة إلى رعيها وتروح أى ترجع بالعشى إلى مألفها .

(١٥٢) أى يهلكهم ليلاً .

(١٥٣) وضعه أى ذهاب أهله « فيوضع العلم » أى فيذكر الجبل .

(١٥٤) أنظر فتح البارى لابن حجر ١٠ / ٤٤ / ٤٥ وأبو داود ٣٦٩ / ٢ مختصراً والبيهقى في السنن ١٠ / ٢٢١ .

(١٥٥) لأنسى للإمام ابن حزم علمه وزهده ولكن فرض عليه مذهبه الظاهرى هذا الفهم فرجه الله ، وقد ترجم له الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ١٢ / ٩١ ط السعادة والحافظ بن حجر في لسان الميزان ٤ / ١٩٨ .

وجواب هذا الوهم من وجوه:

أحدها: أن البخاري قد لقي هشام بن عمار وسمع منه ، فإذا قال « قال هشام » فهو بمنزلة قوله « عن هشام » .

الثاني: أنه لو لم يسمع منه فهو لم يستجزّ الجزم به عنه إلا ، وقد صح عنه أنه حدث به . وهذا كثيراً ما يكون لكثرة من رواه عنه عن ذلك الشيخ وشهرته . فالبخاري أبعدُ خلق الله من التدليس .

الثالث: أنه أدخله في كتابه المسمى بالصحيح محتجاً به ، فلولا صحته عنده لما فعل ذلك .

الرابع: أنه علّقه بصيغة الجزم ، دون صيغة التقرّض ، فإنه إذا توقف في الحديث أو لم يكن على شرطه يقول « ويروى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، ويذكر عنه » ، ونحو ذلك: فإذا قال: « قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم » فقد جزم وقطع بإضافته إليه .

الخامس: أنا لو أضربنا عن هذا كله صفحاً فالحديث صحيح متصل عند غيره .

قال أبو داود في كتاب اللباس: حدثنا عبد الوهاب بن نجدة حدثنا بشر بن بكر عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنا عطية بن قيس قال: سمعت عبد الرحمن بن غنم الأشعري قال حدثنا أبو عامر أو أبو مالك ، فذكره مختصراً . ورواه أبو بكر الإسماعيلي في كتابه الصحيح مسنداً ، فقال: أبو عامر . ولم يشك .

ووجه الدلالة منه: أن المعازف هي آلات اللهو كلها . لاخلاف بين أهل اللغة في ذلك . ولو كانت حلالاً لما ذمهم على استحلالها ، ولما قرن استحلالها باستحلال الخمر والخز . فإن كان بالخاء والراء المهملتين ، فهو استحلال الفروج الحرام . وإن كان بالخاء والزاي المعجمتين فهو نوعٌ من الحرير ، غير الذي صح عن الصحابة رضي الله عنهم لبسه . إذ الخز نوعان .

أحدهما: من حرير . والثاني: من صوف . وقد روى هذا الحديث بالوجهين .

وقال ابن ماجه فى سننه : حدثنا عبد الله بن سعيد عن معاوية بن صالح عن حاتم بن حريث عن ابن أبى مریم عن عبد الرحمن بن غنم الأشعرى عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « ليشربنَّ ناسٌ من أمتى الخمر ، يسمونها بغير اسمها ، يُعزَف على رءوسهم والمعاذ والمغنيات ، يخسف الله بهم الأرض ، ويجعل منهم قردة وخنازير » وهذا إسناد صحيح . وقد تواعد مستحلّى المعازف فيه بأن يخسف الله بهم الأرض ، ويمسخهم قردة وخنازير (١٥٦) وإن كان الوعيد على جميع هذه الأفعال ، فلكل واحد قسط فى الذم والوعيد .

وفى الباب عن سهل بن سعد الساعدى ، وعمران بن حُصَيْن ، وعبد الله بن عمرو ، وعبد الله بن عباس ، وأبى هريرة ، وأبى أمامة الباهلى ، وعائشة أم المؤمنين ، وعلى بن أبى طالب ، وأنس بن مالك ، وعبد الرحمن بن سابط ، والغازى بن ربيعة (١٥٧) .

ونحن نسوقها لتقرُّ بها عُيُونُ أهل القرآن ، وتشجى (١٥٨) بها حُلُوقُ أهل سماع الشيطان .

فأما حديث سهل بن سعد ، فقال ابن أبى الدنيا : أخبرنا الهيثم ابن خارجة حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « يكون فى أمتى خسف وقذف ومسح ، قيل : يارسول الله ، متى ؟ قال : إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلَّت الخمرة » .

(١٥٦) رواه ابن ماجه ١٣٣٣/٢ وأحمد فى مسنده ٣٤٢/٥ ولم يذكر المعازف والبخارى فى التاريخ الكبير ٣٠٥/١ وأبو داود فى سننه ٢٩٥/٢ مختصراً والبيهقى فى السنن ٢٢٠/١٠ وقد صححه ابن حبان كما ذكره الحافظ فى الفتح ٥١/١٠ .

(١٥٧) هو الغازى بن ربيعة بن الغاز - بالغين المعجمه والزأى ، وقد تحذف ياء النسبة ولأبيه ربيعة ترجمة فى الاصابة ، وفى أسد الغابة .

(١٥٨) الشجاء : ما اعترض ونشب فى الحلق من عظم ونحوه .

وأما حديث عمران بن حصين . فرواه الترمذى من حديث الأعمش عن هلال بن يساف عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « يكون فى أمتى قذف وحسف ومسوخ ، فقال رجل من المسلمين : متى ذاك ، يارسول الله ؟ قال : إذا ظهرت القيان ، والمعازف ، وشربت الخمر » قال الترمذى : هذا حديث غريب .

وأما حديث عبد الله بن عمرو . فروى أحمد فى مسنده وأبو داود عنه أن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « إن الله تعالى حرم على أمتى الخمر والميسر والكوبة والغبيراء ، وكل مُسكر حرام » (١٥٩) . وفى لفظ آخر لأحمد « إن الله حرم على أمتى الخمر والميسر والمزور والكوبة والقنين » .

وأما حديث ابن عباس . ففى المسند أيضاً . عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : « إن الله حرم الخمر والميسر والكوبة . وكل مسكر حرام » والكوبة الطبل . قاله سفيان (١٦٠) وقيل : البربط . والقنين : هو الطنبور بالحشية . والتقنين : الضرب به ، قاله ابن الأعرابى .

وأما حديث أبى هريرة رضى الله عنه . فرواه الترمذى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « إذا اتخذ الفىء دُولاً ، والأمانة مغنماً ، والزكاة مغرمًا ، وتُعلم العلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته ، وعق أمه ، وأدنى صديقه ، وأقصى أباه وظهرت الأصوات فى المساجد وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وظهرت

(١٥٩) الغبيراء : شراب يتخلده الحبشة من الدرة : وهى أيضاً : المزور بكسر الميم وسكون الزاى وتسمى الكركة . وتسمى فى زمننا هذا : البوطة . وقيل : المزور يتخذ من الشعير والقمح أيضاً . انظر سنن أبى داود ٢/٢٩٥ وأحمد فى مسنده ١/٢٧٤ - ٣٥٠ ، ٢/١٥٨ - ١٦٥ والبيهقى فى السنن ١٠/٢٢١ .

(١٦٠) فى القاموس : الكوبة - بضم الكاف : الرد ، والشطرنج والطبل الصغير ، والبربط .

القينات والمعازف ، وشربت الخمر ، ولعن آخر هذه الأمة أولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء ، وزلزلة وخسفاً ، ومسحاً ، وقذفاً . وآيات تتابع (١٦١) كنظام بالقطع سيلكه فتتابع» قال الترمذى : هذا حديث حسن غريب (١٦٢) .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا عبد الله بن عمر الجشمي حدثنا سليمان بن سالم أبو داود حدثنا حسان بن أبى سنان عن رجل عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم «يُمسحُ قوم من هذه الأمة في آخر الزمان قردةً وخنازير . قالوا : يا رسول الله ، أليس يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ؟ قال : بلى ، ويصومون ويصلون ، ويحجون . قيل : فما بالهم ؟ قال : اتخذوا المعازف والدفوف والقينات ، فباتوا على شربهم ولهوهم ، فأصبحوا وقد مُسخوا قردةً وخنازير .

وأما حديث أبى أمامة الباهلي . فهو في مسند أحمد والترمذى عنه عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال «بييت طائفة من أمتى على أكل وشرب ، ولهو ولعب ، ثم يُصبحون قردة وخنازير ، ويُبعث على أحياء من أحيائهم ريحٌ ، فينسفهم كما نسف من كان قبلكم ، باستحلهم الخمر ، وضربهم بالدفوف ، واتخاذهم القينات» في إسناده فرقد السبخى ، وهو من كبار الصالحين . ولكنه ليس بقوى في الحديث . وقال الترمذى : تكلم فيه يحيى بن سعيد وقد روى عنه الناس (١٦٣) .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا عبد الله بن عمر الجشمي حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا فرقد السبخى حدثنا قتادة عن سعيد بن المسيب قال : حدثنى

(١٦١) تتابع «أى علامات قرب الساعة يتبع بعضها بعضاً .
(١٦٢) وله شاهد من حديث على بن أبى طالب قال قال رسول الله ﷺ : إذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء قيل وماهى يا رسول الله ؟ قال انظر تحفة الاحوذى ط الهند ٢٣٤/٣ وابن أبى الدنيا في ذم الملاحى وابن حبان في الضعفاء ٢٠٦/٢/٢٠٧ وابن حزم في المغلى ٦٨/٩ والخطيب في تاريخ بغداد ١٥٨/٣ .
(١٦٣) هو فرقد بن يعقوب السبخى - بسين مهملة ثم باء موحدة مفتوحتين ثم خاء معجمة .

عاصم بن عمرو والْبَجَلِي عن أبي أُمَامَةَ عن رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيِّتَ قَوْمٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى طَعْمٍ ، وَشُرْبٍ وَهُوَ ، فَيُصْبِحُونَ وَقَدْ مُسِخُوا قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ ، وَلْيُصَيِّبْنَهُمْ خُسْفٌ وَقَذْفٌ حَتَّى يُصْبِحَ النَّاسُ فَيَقُولُونَ: تُخْسِفُ اللَّيْلَةُ بَدَارَ فُلَانٍ ، تُخْسِفُ اللَّيْلَةُ بَيْنِي فُلَانٍ ، وَلْيُرْسَلَنَّ عَلَيْهِمْ حَجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ ، كَمَا أُرْسِلَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطَ ، عَلَى قِبَائِلٍ فِيهَا ، وَعَلَى دُورٍ فِيهَا ، وَلْيُرْسَلَنَّ عَلَيْهِمُ الرِّيحُ الْعَقِيمُ الَّتِي أَهْلَكَتْ عَادًا ، بِشُرْبِهِمُ الْخَمْرَ . وَأَكْلِهِمُ الرِّبَا وَاتِّخَاذِهِمُ الْقَيْنَاتِ ، وَقَطِيعَتِهِمُ الرَّحِمَ» .

وفي مسند أحمد من حديث عُبيدِ اللَّهِ بن زُحْرٍ عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أُمَامَةَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي رَحْمَةً وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُمَحِّقَ الْمَزَامِيرَ وَالْكِبَارَاتِ (١٦٤) ، يَعْنِي الْبِرَابِطَ ، وَالْمَعَازِفَ وَالْأَوْثَانَ ، الَّتِي كَانَتْ تُعْبَدُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ (١٦٥)» قَالَ الْبُخَارِيُّ: عُبَيْدُ اللَّهِ بن زُحْرٍ ثِقَةٌ ، وَعَلِي بن يزيد ضَعِيفٌ . وَالْقَاسِمُ بن عبد الرحمن أَبُو عبد الرحمن ثِقَةٌ .

وفي الترمذی ومسنَدُ أحمد بهذا الإسناد بعينه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ «لَا تَتَّبِعُوا الْقَيْنَاتِ ، وَلَا تَشْتَرَوْهُنَّ ، وَلَا تَعْلَمُوهُنَّ ، وَلَا خَيْرَ فِي تِجَارَةٍ فِيهِنَّ ، وَتَمْنَهُنَّ حَرَامٌ . وَفِي مِثْلِ هَذَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ (٣١ : ٦) «وَمَنْ يَشْتَرِ النَّاسَ مِنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ - (١٦٦)»

(١٦٤) فِي الْقَامُوسِ: الْكَبَرُ - بِالْتَحْرِيكِ ، كَجَمَلِ الْأَصْفِ . وَالْعَامَّةُ تَقُولُ: كِبَارٌ ، كَتَفَاحٍ ، وَالطَّبْلُ وَالْجَمْعُ: كِبَارٌ - كَجَمَالٍ - وَأَكْبَارٌ .

(١٦٥) أَخْرَجَهُ الطَّبَالَسِيُّ فِي مَسْنَدِهِ ١ / ٣٣٨ وَأَحَدٌ فِي مَسْنَدِهِ ٥ / ٢٥٧ / ٢٦٨ وَابْنُ مَاجَهَ ٢ / ٧٣٣ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي ذِمِّ الْمَلَاهِي وَالْحَدِيثُ لَهُ شَوَاهِدٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا مَارَوَاهُ الْبُخَارِيُّ « ١٠ / ٥١ مِنَ الْفَتْحِ » مِنْ حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ « لِيَكُونَ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرَ وَالْخَرِيرَ وَالْخَمْرَ وَالْمَعَازِفَ » .

(١٦٦) تَحْفَةُ الْأَحْوَذِيِّ طَاهَنْدُ ٢ / ٢٥٩ وَأَحَدٌ فِي الْمَسْنَدِ ٥ / ٢٥٧ - ٢٦٨ وَالْحَمِيدِيُّ ٢ / ٤٠٥ مُخْتَصَرًا وَابْنُ مَاجَهَ ٢ / ٧٣٣ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي ذِمِّ الْمَلَاهِي وَالْحَدِيثُ حَسَنٌ لغيره وله شواهد كثيرة .

وأما حديث عائشة رضى الله عنها . فقال ابن أبى الدنيا : حدثنا الحسن بن محبوب حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم حدثنا أبو معشر عن محمد بن المنكدر عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « يكون فى أمتى خسف ومسخ وقذف ، قالت عائشة : يارسول الله ، وهم يقولون لا إله إلا الله ؟ فقال : إذا ظهرت القينات ، وظهر الزنى ، وشربت الخمر ، ولبس الحرير ، كان ذا عند ذا » .

وقال ابن أبى الدنيا أيضاً : حدثنا محمد بن ناصح حدثنا بقیة ابن الوليد عن يزيد بن عبد الله الجهنى حدثنى أبو العلاء عن أنس بن مالك أنه دخل على عائشة رضى الله عنها ورجل معه ، فقال لها الرجل « یا أم المؤمنین ، حدثنا عن الزلزلة . فقالت : إذا استباحوا الزنى ، وشربوا الخمر ، وضربوا بالمعازف ، غار الله فى سمائه . فقال : تزلزلى بهم ، فإن تابوا وفرغوا وإلا هدمتها عليهم ، قال قالت : یا أم المؤمنین ، أعذابٌ لهم ؟ قالت : بل موعظة ورحمة وبركة للمؤمنین ، ونكالٌ وعذاب وسخطٌ على الكافرين » قال أنس : « ماسمعتُ حديثاً بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنا أشد به فرحاً منى بهذا الحديث (١٦٧) » .

وأما حديث على . فقال ابن أبى الدنيا أيضاً : حدثنا الربیع بن ثعلب حدثنا فرج بن فضالة عن یحیی بن سعید عن محمد بن على عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم « إذا عملت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء . قيل : یارسول الله ، وما هن ؟ قال : إذا كان المغنم دُولاً ، والأمانة مغنماً ، والزكاة مغرماً ، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه ، وبرَّ صديقه وجفا أباه ، وارتفعت الأصوات فى المساجد ، وكان زعيم القوم أرذلهم ، وأكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمر ، ولبس الحرير ، وأتخذت القيان ، ولعن آخر هذه الأمة

(١٦٧) المستدرک ٥١٦/٤ مع اختلاف فى اللفظ وفيه « إن المرأة إذا خلعت ثيابها فى غیر بیت زوجها هتکت ما بینها وبين الله عز وجل من حجاب وإن تطیبت لغير زوجها كان علیها ناراً فإذا استباحوا الزنا » .

أَوْهَا . فَلْيَرْتَقِبُوا عِنْد ذَلِكَ رِيحاً حَمِراً ، وَخَسِئاً وَمَسْخِئاً (١٦٨) .

حدثنا عبد الجبار بن عاصم قال : حدثنا أبو طالب قال حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الرحمن التميمي عن عباد بن أبي علي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه قال : « تُمَسَّخُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَرْدَةً وَطَائِفَةٌ خَنَازِيرَ ، وَيَخْسِفُ بِطَائِفَةٍ ، وَيُرْسِلُ عَلَى طَائِفَةٍ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ، بَأَنَّهُمْ شَرَبُوا الْخَمْرَ ، وَلَبَسُوا الْحَرِيرَ ، وَاتَّخَذُوا الْقَبِيَانِ ، وَضَرَبُوا بِالْدَفُوفِ » .

وَأَمَّا حَدِيثُ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . فَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا حَدَّثَنَا : أَبُو عَمْرٍو هُرُونُ بْنُ عَمْرِو الْقُرَشِيِّ حَدَّثَنَا الْخَصِيبُ بْنُ كَثِيرٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهَذَلِيِّ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ « لِيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَمَسْخٌ ، وَذَلِكَ إِذَا شَرَبُوا الْخَمْرَ ، وَاتَّخَذُوا الْقَبِيَانِ ، وَضَرَبُوا بِالْمَعَازِفِ » .

قال : وَأَنْبَأَنَا أَبُو إِسْحَقَ الْأَزْدِيُّ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدٍ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ أَحَدٍ وَلَدِ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ ، وَعَنْ غَيْرِهِ ، عَنْ أَنَسٍ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ « لِيَبَيِّتَنَّ رِجَالٌ عَلَى أَكْلِ وَشُرْبٍ وَعِزْفٍ ، فَيَصْبَحُونَ عَلَى أَرَائِكِهِمْ مَمْسُوخِينَ قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ » .

وَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ . فَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا : حَدَّثَنَا إِسْحَقُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلَبٍ عَنْ عَمْرٍو بْنِ مُرَّةٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ « يَكُونُ فِي أُمَّتِي خَسْفٌ وَقَذْفٌ وَمَسْخٌ ، قَالُوا : فَمَتَى ذَاكَ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : إِذَا أَظْهَرُوا الْمَعَازِفَ ، وَاسْتَحَلُّوا الْخَمْرَ » .

وَأَمَّا حَدِيثُ الْغَازِي بْنِ رَبِيعَةَ . فَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا حَدَّثَنَا : عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنِ عَاصِمٍ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عِيَّاشٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْهَمْدَانِيِّ

(١٦٨) جامع الترمذی ط الهند ٣/ ٢٣٤ وابن حبان فی الضعفاء ٢/ ٢٠٦/ ٢٠٧ وابن حزم فی المحلى ٩/ ٦٨ وله شاهد أخرجه الترمذی عن ابی هريرة ٣/ ٢٣٥ .

عن عِمارة بن راشد عن الغازي بن ربيعة - رفع الحديث - قال «لِيُمَسَّخَنَ قوم وهم على أريكتهم قردة وخنازير ، يَشْرَبُهم الخمر ، وضَرْبُهم بالرباط والقيان» .

قال ابن أبي الدنيا: وحدثنا عبد الجبار بن عاصم قال حدثني المغيرة بن المغيرة عن صالح بن خالد - رفع ذلك إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - أنه قال «لِيَسْتَحِلَّ ناس من أمتي الحرير والخمر والمعازف ، وليأتين الله على أهل حاضر منهم عظيم بجبل حتى يَنْبُذَهُ عليهم وَيُمَسَّخُ آخرون قردة وخنازير» .

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا هرون بن عُبيد الله ، حدثنا يزيد ابن هرون ، حدثنا أشرسُ أبو شَيْبَانَ الهذليُّ قال: قلت لِمَرْقَدِ السَّبْخِي: أَخْبِرْنِي يَا أَبَا يَعْقُوبَ ، من تلك الغرائب التي قرأت في التوراة . فقال «يا أبا شيبان ، والله ما أَكْذِبُ على ربي - مرتين أو ثلاثا - لقد قرأت في التوراة: لِيَكُونَنَّ مَسْخُ وخسف وقذف في أمة محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في أهل القِبْلة ، قال: قلت ، يا أبا يعقوب ما أَعْمَالُهم ؟ قال: باتخاذهم القينات ، وضربهم بالدفوف ، ولباسيهم الحرير والذهب ، ولعنُ بقيت حتى ترى أَعْمَالًا ثلاثة ، فاستيقن واستعدَّ واحتذَر . قال . قلت: ماهي ؟ قال: إذا تكافأ الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء^(١٦٩) ، ورغبت العرب في آنية العجم ، فعند ذلك . قلت له: العرب خاصة ؟ قال: لا ، بل أهل القِبلة ، ثم قال: والله لَيَقْذِفَنَّ رجال من السماء بحجارة يُشَدَّخُونَ بها في طَرْقَهم وقبائلهم . كما فَعَلَ بقوم لوط ، ولِيُمَسَّخَنَّ آخرون قردة وخنازير ، كما فَعَلَ ببنى إسرائيل ، وَلِيُخَسِفَنَّ بقوم كما خُسِفَ بقارون» .

وقد تظاهرت الأخبار بوقوع المسخ في هذه الأمة ، وهو مُقْبِدٌ في أكثر الأحاديث بأصحاب الغناء ، وشاربي الخمر ، وفي بعضها مُطْلَقٌ .

(١٦٩) يعني: استغنى الرجال باللواطة عن الزواج بالنساء المفتهرات . واستغنت النساء عن الرجال بالسحاق مع بعضهن . وكلاهما فساد شر فساد وانعكاس شر انعكاس في الفطرة ، وقلب للجبل والطبيعة الحيوانية فضلا عن مخالفة كل الشرائع والمثل السماوية والنتيجة هي الامراض الحديثة الفتاك التي ظهرت الآن .

قال سالم بن أبي الجعد «ليأتينَّ على الناس زمان يجتمعون فيه على باب رجل ينتظرون أن يخرج إليهم ، فيطلبون إليه حاجة ، فيخرج إليهم وقد مُسخ قرداً أو خنزيراً ، ويمرّن الرجل على الرجل في حانوته يبيع ، فيرجع إليه وقد مُسخ قرداً أو خنزيراً» .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه «لا تقوم الساعة حتى يمشی الرجلان إلى الأمر يعملانه ، فيُمسَخ أحدهما قرداً أو خنزيراً . فلا يمنع الذي نجا منهما ما رأى صاحبه أن يمضى إلى شأنه ذلك حتى يقضى شهوته ، وحتى يمشی الرجلان إلى الأمر يعملانه ، فيخسف بأحدهما ، فلا يمنع الذي نجا منهما ما رأى صاحبه أن يمشی لشأنه ذلك ، حتى يقضى شهوته منه» .

وقال عبد الرحمن بن عَنَم «سيكون حيّان متجاورين ، فيُشَقُّ بينهما نهر ، فيستقيان منه ، قَبَسُهُم واحد ، يَقْبِس بعضهم من بعض ، فيُصْبِحان يوماً من الأيام قد نُحِسَف بأحدهما والآخر حيّ» .

وقال عبد الرحمن بن عَنَم أيضاً «يوشك أن يقعد اثنان على رحاً يطحنان ، فيمسَخ أحدهما والآخر ينظر» .

وقال مالك بن دينار «بلغنى أن ربحاً تكون في آخر الزمان وظَلَم ، فيفرع الناس إلى علمائهم ، فيجدونهم قد مُسخوا» .

قال بعض أهل العلم: إذا اتصف القلب بالمكر والخديعة والفسق ، وانصبغ بذلك صبغاً تاماً ، صار صاحبه على مُخلَق الحيوان الموصوف بذلك: من القردة ، والخنازير ، وغيرهما ، ثم لا يزال يتزايد ذلك الوصف فيه حتى يبدو على صفحات وجهه بُدُوًا خفياً . ثم يقوى ويتزايد حتى يصير ظاهراً على الوجه ، ثم يقوى حتى يقلب الصورة الظاهرة ، كما قلب الهيئة الباطنة ومن له فُرَاسَة تامة يرى على صور الناس مسخاً من صور الحيوانات التي تَخَلَّقوا بأخلاقها في الباطن ، فقل أن ترى مختالاً مكاراً مخادعاً ختّاراً إلا وعلى وجهه مسخة قرد ، وقل أن ترى رافضياً إلا وعلى وجهه مسخة خنزير ، وقل أن ترى شرهاً نهما ، نفسه نفس كلبية إلا وعلى وجهه مسخة كلب . فالظاهر

مرتبط بالباطن أتم ارتباط ، فإذا استحكمت الصفات المدمومة في النفس قويت على قلب الصورة الظاهرة ، ولهذا خوَّف النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من سابق الإمام في الصلاة بأن يجعل الله صورته صورة حمار (١٧٠) ، لمشايبته للحمار في الباطن ، فإنه لم يستفد بمسابقة الإمام إلا فساد صلاته ، وبطلان أبحره ، فإنه لا يُسَلِّم قبله ، فهو شبيه بالحمار في البلادة ، وعدم الفطنة .

إذا عُرف هذا فأحق الناس بالمسخ هؤلاء الذين ذكروا في هذه الأحاديث ، فهم أسرع الناس مسخا قردة وخنازير ، لمشايبهم لهم في الباطن ، وعقوبات الرب تعالى - نعوذ بالله منها - جارية على وفق حكمته وعدله .

وقد ذكرنا شبه المغنين والمفتونين بالسماع الشيطاني ، ونقضناها نقضاً وإبطالاً في كتابنا الكبير في السماع ، وذكرنا الفرق بين ما يحرِّكه سماع الآيات وما يحرِّكه سماع الآيات ، وذكرنا الشبه التي دخلت على كثير من العباد في حضوره ، حتى عُدَّوه من القرب . فمن أحب الوقوف على ذلك فهو مُستوفى في ذلك الكتاب ، وإنما أشرنا ههنا إلى بُدْءِ يسرة في كونه من مكاييد الشيطان .

﴿ الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات ﴾

كان الفراغ من طبعه

في / ١٤٠٦ هـ

الاول من يناير ١٩٨٦ م

★ ★ ★

(١٧٠) روى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه من ركوع ، أو سجود قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار ، أو يجعل الله صورته صورة حمار ؟ » ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد جيد بلفظ « ما يؤمن أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس كلب ؟ » وكذلك رواه ابن حبان في صحيحه مثل الطبراني .

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٣
منهج العمل في الكتاب	٤
كلام الامام الطرطوشي في كتابه تحريم السماع	٩
رأى الامام مالك وأبى حنيفة	١٠
رأى الامام الشافعى	١١
رأى الامام أحمد	١٤
قصيدة	١٦
قصيدة في طريق النجاة	٢١
اسماء الغناء	٢٢
الاسم الاول [اللهو]	٢٣
الاسم الثانى والثالث [الزور، واللغو]	٢٧
الاسم الرابع [الباطل]	٢٩
كلام الشيخ عبد اللطيف حمزه مفتى الجمهورية	٣٠
الاسم الخامس [المكاء والتصديّة]	٣١
الاسم السادس [رقية الزنى]	٣٢
الاسم السابع [منبت النفاق]	٣٥
فمن خواص الغناء	٣٦
الاسم الثامن [قرآن الشيطان]	٤٠
الاسم التاسع [الصوت الاحق، والصوت الفاجر]	٤٣

الاسم العاشر [صوت الشيطان]	٤٥
الاسم الحادى عشر [مزموور الشيطان]	٤٦
الاسم الثانى عشر [السمود]	٤٧
فصل فى بيان تحريم رسول الله ﷺ الصريح لآلات اللهو والمعازف	٤٨
الرد على من تكلم على حديث [ليكونن منى امتى والمعازف]	٥٠
طريق حديث سهل بن سعد	٥١
طريق حديث عبد الله بن عمرو - ابن عباس - أبى هريرة	٥٢
طريق حديث أبى امامه الباهلى	٥٣
طريق حديث عائشة رضى الله عنها وعلى	٥٥
طريق حديث أنس وعبد الرحمن والغازى بن ربيعة	٥٦
كيفية وقوع المسخ	٥٧
كلام العلماء فى صفة القلب	٥٨

يسر مكتبة الصحابة أن تعلن عن قيامها بطبع الكتب الآتية : -

- الكلم الطيب لابن تيمية تحقيق د . محمد خليل هراس وتعقيبات الشيخ الالباني
- الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا تحقيق عماد فره وتقديم د . حسن عبد العال
- باعث النهضة الاسلامية ابن تيمية السلفي د . محمد خليل هراس
- الامثال في القرآن الكريم الامام ابن القيم الجوزية تحقيق أبو حذيفة ابراهيم
- حكم الاسلام في الغناء الامام ابن القيم الجوزية تحقيق ابو حذيفة ابراهيم
- العقيدة سنة لن تموت أبو حذيفة ابراهيم بن محمد
- السواك دراسة بين الدين والعلم الحديث د . سوزان سعد ، أبو حذيفة ابراهيم
- فيه شفاء للناس [التداوى بعسل النحل] أبو حذيفة ابراهيم بن محمد
- تهذيب احوال القبور لابن رجب أبو حذيفة ابراهيم بن محمد تحت الطبع
- اللهو المباح في ضوء العصر الحديث بما يتفق مع الشرع الحنيف تحت الطبع
- جوار مع الكلم من اذكار نبي الهدى ﷺ
- هدية العروسين [افراحنا في اداب الاسلام]
- منازل السرور في وصف الحور العين [نساء أهل الجنة] مجدى فتحى السيد
- الموت وسكراته
- الوصية الشرعية من الكتاب والسنة
- شرح الاربعين النووية - طبعة جديدة محققة تحت الطبع
- متن الدر البهية للامام الشوكاني [متن الروضة الندية والدرارى المعنية] تحت الطبع
- متن الخزقي [متن كتاب المغنى لابن قدامة المقدسى] تحت الطبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخي المسلم : حرصاً منا على إحياء الفضائل والقيم والتي ربما طمست في قلوب البعض ونظراً لتقصيرنا في حقوق الإخوة من مراسلات وتهنئات ومواساة آثرنا أن تنوِّج هذه الكروت فهي رسائل صغيرة تحمل في طياتها ما يدور في نفسك تجاه المناسبة المرادة وما ذلك إلا لإحياء هذه الفضائل التي غرسها الإسلام في نفوس أوليائه فكانوا سادة العالم:

كروت

المناسبات الإسلامية

- ١- التهنئة بالعودة من الحج
- ٢- التهنئة بالعودة من السفر
- ٣- التهنئة بقدوم المولود
- ٤- التهنئة بقدوم العيد
- ٥- التهنئة لمن اشترى شيئاً جديداً
- ٦- التهنئة بتمام الشفاء من المرض
- ٧- التهنئة بالزواج
- ٨- التهنئة بالنجاح والتوفيق
- ٩- الوصية في السفر
- ١٠- الوصية بالامتناع عن الظلم
- ١١- الوصية بالصبر
- ١٢- الوصية بحفظ السر
- ١٣- الدعوة للزواج
- ١٤- الدعاء لمن أسدى إليك مفعولاً
- ١٥- الدعاء بالشفاء من المرض
- ١٦- التوفيق بسداد الدين
- ١٧- إخبارك أخاك أنك تحبه
- ١٨- التعزية
- ١٩- الحث على بر الوالدين
- ٢٠- الحث على تقوى الله
- ٢١- الحث على صلة الرحم
- ٢٢- الحث على الوفاء بالوعد
- ٢٣- الحث على التوبة
- ٢٤- الحث على الالتزام بالشرع
- ٢٥- الحث على الشكاور
- ٢٦- الحث على الالتزام بالحج
- ٢٧- الحث على فعل الخير

To: www.al-mostafa.com